جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الاتجاه الوعظي
بين
الهمذاني والحريري

دراسة موازنة

دكتور
علي عبد اللطيف عبد الرحمن سليم
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد، الهادي البشير، والسراج المنير ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد

فمما لا شك فيه أن تراثنا العربي – شعرا ونثرا– يعد منبعا للإبداع، ومصدرًا للإمتاع ، ينهل منه الأدباء، ويغترف منه الشعراء، ويُهرع إليه دارسو الأدب ومحبوه، وطالبو البيان وعاشقوه، ليكشفوا عن قيمه النبيلة، وفوائده الجليلة.

لذا يممت وجهي شطر تراثنا الأدبي الأصيل، وآثرت أن يكون موضوع بحثي حول فن من فنونه النثرية، ومع كثرة ما كتب عنه، فهو لا يزال في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة؛ لما يتسم به من سمات فنية، وخصائص أدبية، اختص بها من دون سواه، هذا الفن هو فن المقامات.

وقد اخترت جانبا واحدا منها، وهو الاتجاه الوعظي، وجعلته محور هذا البحث عند علمين من أعلام هذا الفن، هما: بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة٣٩٨ هـ، وأبوالقاسم الحريري المتوفى سنة٥١٦ه، دراسة موازنة.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب ، أهمها:

١– التعلق بتراثنا العربي الخالد، وإبراز كنوزه الثمينة، ورموزه الدفينة.

٢– اهتمام كثير من الباحثين بدراسة الجوانب المتعلقة بالشعر وأبوابه، وإهمال النثر وفنونه وكتّابه.

٣- ما يمتاز به فن المقامات –عامة– من أسلوب أدبي أخّاذ، يقوم على التأنق في بناء الأساليب الأدبية، وتشكيل الصور الفنية.

ويعتمد البحث على المنهج التكاملي الذي يجمع بين المنهج الفني والوصـــفي والنفسي والتاريخي والاجتماعي... ويوظف المعارف كافة في دراسة النص ونقـــده، مع الاستعانة بجهود العلماء والباحثين الذين درسوا فن المقامات.

وقد بنيت بحثي هذا على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

فالمقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

والتمهيد: تناولت فيه أمرين :

الأول: التعريف بكل من الأديبين، من حيث: نسبهماومولدهما، نشأتهما، ثقافتهما، شيوخهما، تلاميذهما، آثارهما الأدبية والعلمية، صفاتهما، ووفاتهما.

الآخر:التعريف بفن المقامة في اللغة والاصطلاح، آراء الأدباء والنقاد حول نشأتها، عدد المقامات عند كليهما.

والفصل الأول: بعنوان:**(مضامين الاتجاه الوعظي بين الهمذاني والحريري)**

وجاء في ثلاثة مباحث:

أولاً : أهم المضامين المشتركة في الاتجاه الوعظي عند الهمذاني والحريري، وجاء في خمسة موضوعات:

١ – الحديث عن الموت والاستعداد له

٢ – التنفير من الدنيا وعدم الركون إليها

٣ – الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل، والإخلاص في الطاعة

٤ – الزهد، والدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله

٥ – الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق

ثانيًا : أهم الموضوعات الوعظية التي انفرد بها الهمذاني، وجاءت في موضوعين:

١ – الاعتبار بقصص السابقين.

٢ – الدعوة إلى العلم ، ومعرفة فضله.

ثالثًا : أهم الموضوعات الوعظية التي انفرد بها الحريري، وجاءت في موضوعين:

١ – الدعوة إلى عدم التيه والعجب بالإمارة أو الولاية

٢ – الدعوة إلى التوبة، والندم على ما مضى

والفصل الثاني: بعنوان: أبرز الخصائص الفنية للمقامات الوعظية عند الهمذاني والحريري، وأهمها:

أولاً : الألفاظ والأساليب:وأهم سماتها:

١- السهولة والألفة والوضوح

٢- التأثر بالبيان القرآني والبيان النبوي

٣- استخدام الشعر وتوظيفه وتطعيم المقامات به

٤- هيمنة المحسنات البديعية

ثانيًا : التصوير الفني، وأدواته:

١ – التشبيه

٢ – الاستعارة

٣ – الكناية

الخاتمة: وقد أودعتها أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، ثم أتبعتها بقائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل أن ينفع به، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د/ علي عبد اللطيف عبد الرحمن سليم

تمهيد

أولا- التعريف بكل من الهمذاني والحريري

أ – التعريف بالهمذاني :

نسبه ومولده:

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الملقب ببديع الزمان ،ولد في "همذان" وهي مدينة جبلية في إيران سنة ٣٥٨ للهجرة ، وفي رسائله التي كتبها دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية كريمة استوطنت هناك. نراه يقول في أول رسالة له متلطفا مع من راسله:

"إني عبد الشيخ ، واسمي أحمد ، وهمذان المولد،وتغلب المورد، ومضر المحتد " فهو ليس فارسيا كما قد يظن، وإنما هو عربي مضري تغلبي، أخذه أبوه بالتعليم والتثقيف، فاختلف إلى دروس العلماء والأدباء في بلدته، وتلقف على أيديهم ما شحذ به عقله من دروس دينية، وأخرى لغوية وأدبية".([1])

ولا شك أنه بهذا قد جمع بين أخلاق العرب وصفات العجم، فظهرت عبقريته الخارقة وذكاؤه الوقاد([2])

شيوخه:

تتلمذ الهمذاني على أيدي جمهرة من العلماء والأدباء، من أمثال: ابن فارس اللغوي،وعيسى بن هشام، والصاحب بن عباد ، والخوارزمي، ونال من علمهم وأدبهم الكثير .([3])

ونراه يقول لأستاذه ابن فارس في إحدى رسائله:

---

[1]–المقامة ،د.شوقي ضيف ،الطبعة الخامسة ، ص١٣، . دار المعارف

[2] – دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني وخصائصها الفنية، د. السيد عبد القادر عويضة – الطبعة الاولي،سنة ١٩٩١م ،ص٩ ،مطبعة الأمانة.

[3]– المرجع السابق ،ص٩

لا تلمني على ركاكة عقلي * أن تيقَّنْت أنني همذاني**

وما زال يختلف إلى حلقات هذا الأستاذ المشهور وغيره حتى أتم دروسه، وأكمل تحصيله من اللغة والشعر والنثر.([1])

آثاره الأدبية:

١ – ديوان شعر مطبوع من الحجم الصغير، نظم فيه شعرا في جميع الأغراض المعروفة للشعراء.

٢ – مجموعة كبيرة من الرسائل، بعضها يطول وبعضها يقصر، وقد بلغ عددها ثلاثة وثلاثين بعد المائتين، شرحها وفسر غوامضها الشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي، وقد ضمنها الهمذاني أغراضا كثيرة، منها: المديح والاعتذار والاستعطاف والعتاب والشكوى والهجاء والرثاء والوصف والود والنصيحة.

٣ – المقامات المشهورة التي ذكر أنها أربعمائة مقامة.ووافقه غيره من القدامى على ذلك، ولكن المحدثين بعد استقراء وجدوا أنها لا تزيد على اثنتين وخمسين مقامة، قدم لها وشرح غوامضها كل من الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، وكتبت عليها دراسات كثيرة .([2])

وفاته:

توفي الهمذاني سنة ٣٩٨هـ، وقد أربى على الأربعين سنة، وتذكر بعض المراجع عن موته أنه مات من السكتة، وعجل دفنه فأفاق في قبره وسمع صوته في الليل، وأنه نبش فوجدوه وقد قبض على لحيته، ومات من هول القبر.([3])

---

[1] – المقامة ، د. شوقي ضيف ،ط٥ ،ص١٣

[2] – دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني. د. السيد عويضة، ص١٤

[3] – مقامات بديع الزمان الهمذاني، فاروق سعد، ص٢١ – دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٢م

ولكن هذه الرواية ربما تكون غير حقيقية، لما أورده ابن خلكان في سبب وفاة الهمذاني حين قال:"وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموما بمدينة هراة.([1])

ب – التعريف بالحريري:

نسبه ومولده:

هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري، ولد لأسرة عربية سنة ٤٤٦ للهجرة بضاحية من ضواحي البصرة ، تسمى (المشان) كثيرة التمر والرطب والفاكهة، وبها كانت ملاعب صباه ومسارحه، ولما شب تحول عنها إلى البصرة، ونزل بحي فيها يسمى (حي بن حرام) وأكب على الدراسات الدينية والعلوم اللغوية والنحوية، وتخرج في ذلك كله حاذقا به بارعا غاية البراعة، وكان فيه ذكاء ولسن وفصاحة وبلاغة، فجذب إليه الأنظار، وطمحت نفسه إلى وظائف الدولة.([2])

صفاته:

يقول الرواة إنه كان بخيلا دميم الخلقة والهيئة، مبتلى بنتف لحيته، ويزعمون أن رجلا طلبه ليقرأ عليه مقاماته، وسأل عن مسجده الذي يقرؤها فيه، فدلّه الناس عليه، فلما رآه بُهت، وقال في نفسه: لعله ليس هو ، فرجع ثم قال في نفسه: لعله هو، ثم استبعد أن يكون الحريري هذا الشخص الدميم الذي تقتحمه العيون، وكل ذلك وهو يلحظه، وهمَّ الرجل بالجلوس بين يديه فبادره بقوله: ارحل فأنا من تطلب، أكبر من قرد محنَّك.ويزعم الرواة – أيضا– أن رجلا آخر حدث منه ذلك والحريري يراقبه، فلما التمس منه أن يملي عليه شيئا من مقاماته قال له:اكتب:

ما أنت أول سارٍ غرَّه القمر * وزائرٍ أعجبته خضرة الدِّمن**

---

[1] – وفيات الأعيان ن لابن خلكان، ج١ ص ١٢٩، مطبعة عيسى الحلبي بمصر سنة ١٩٣٦م.

[2] – المقامة، د. شوقي ضيف ط٥، ص٤٤ ، وينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي ، ط ٣ ،ج٦،ص١٢،ومعجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة،ج٨، ص١٠٨ مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي ببيروت سنة ١٩٥٧م

فخجل الرجل منه وانصرف.([1])

أبناؤه:

رزق الحريري ثلاثة أبناء،هم:عبيدالله، وأبوالقاسم عبدالله، وأبوالعباس محمد، أما أولهم فكان قاضي البصرة، وأما الثاني فكان موظفا في ديوان بغداد، وأما الثالث فورث وظيفة أبيه ، وقد زارهم العماد الأصفهاني سنة ٥٥٦هـ، ورآهم لا يزالون يقومون على وظيفة أبيهم ، فقد كان الطلاب يفدون إليهم؛ ليأخذوا عنهم مقامات أبيهم، وكانوا يشرحون لهم صعوباتها اللغوية، واشتهر من بينهم في ذلك أبوالعباس محمد، الذي كان من أوائل شراحها الذين نهضوا بتفسيرها وحل مشكلاتها.([2])

آثاره:

للحريري تآليف حسان، منها: (درة الغواص في أوهام الخواص) ومنها: (ملحة الإعراب) المنظومة في النحو، وله أيضا شرحها، وله ديوان رسائل، وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات([3])

ويضيف إلى هذه الآثار صاحب الأعلام كتاب (صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور)وكتاب (توشيح البيان) وله شعر حسن في ديوان، و(ديوان رسائل)([4])

وفاته:

كانت وفاة الحريري سنة ٥١٦ هـ عن عمر يناهز سبعين عاما.([5])

---

[1] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص٤٥/٤٦

[2] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص٤٦ بتصرف.

[3] - المقامات – شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي، ص٩ دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

[4] – الأعلام ، لخير الدين الزركلي ،ج ٦، ص ١٢ الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية– ١٩٨١م.

[5] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص ٧

ثانيًا- التعريف بفن المقامة

أ - المعنى اللغوي:

المقامات جمع مَقامة بفتح الميم، وهي في أصل اللغة: اسم للمجلس والجماعة من الناس، وسميت الأحدوثة من الكلام (مقامة)، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها.([1])

ويقول د. شوقي ضيف: " إذا رجعنا إلى الشعر الجاهلي وجدنا كلمة (مقامة) تستعمل بمعنيين، فتارة تستعمل بمعنى مجلس القبيلة أو ناديها، على نحو ما نرى عند زهير إذ يقول:

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوهُها * وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ**

وتارة تستعمل بمعنى الجماعة التي يضمها هذا المجلس أو النادي، على نحو ما نرى عند لبيد إذ يقول:

ومقامةٍ غُلْبِ([2]) الرقاب كأنهم * جِنٌّ لدى باب الحَصيرِ([3]) قيامُ**

فالكلمة تستعمل منذ العصر الجاهلي بمعنى المجلس أو من يكونون فيه. ونتقدم في العصر الإسلامي فنجد الكلمة تستعمل بمعنى المجلس، يقوم فيه شخص بين يدى خليفة أو غيره، ويتحدث واعظا، وبذلك يدخل في معناها ،الحديث الذي يصاحبها، ثم نتقدم أكثر من ذلك فنجدها تستعمل بمعنى المحاضرة، وعلى هذه الشاكلة تعفى الكلمة من معنى القيام وتصبح دالة على حديث الشخص في المجلس سواء أكان قائما أم جالسا، وبهذا المعنى استعملها بديع الزمان في المقامة الوعظية، إذ نرى أبا الفتح الاسكندري يخطب في الناس واعظا وعظا بديعا، وراع ذلك منه عيسى بن

---

[1] - أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي،ص٥٨٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

[2] -غُلْب:جمع أغلب،وهو الغليظ الرقبة.

[3] - الحصير هنا : الملك.

هشام فقال لبعض السامعين: "من هذا؟ فقال: غريب قد طرأ لا أعرف شخصه فاصبر عليه إلى آخر مقامته"([1])

ب – المعنى الاصطلاحي:

يعد بديع الزمان الهمذاني أول من أعطى كلمة (مقامة) معناها الاصطلاحي بين الأدباء؛ إذ عبر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعا تصور أحاديث تلقى في جماعات، فكلمة (مقامة) عنده قريبة المعنى من كلمة (حديث).([2])

وتعرف أيضا بأنها " حكايات قصيرة مقرونة بنكتة أدبية أو لغوية"([3])

هذا وقد وردت أقوال كثيرة في تفسير كلمة (مقامة) وبيان معناها ومدلولها اللغوي والاصطلاحي، من ذلك " ما جاء على غلاف الكتاب الذي شرح فيه الشيخ محمد عبده مقامات بديع الزمان الهمذاني، حيث ورد على غلاف الكتاب كلام في معنى المقامة وأسلوبها والغرض منها بعنوان: (قول في المقامة) وتحت هذا العنوان:" المقامة شطحة من شطحات الخيال، بل هي دوامة من الواقع اليومي في أسلوب مسجع ومصنوع" وتدور حول بطل أفاق، أو أديب شحاذ يحدث عنه وينشر طويته راوية جوال يتزيَّا بزيّ البطل أحيانا."([4])

ج – نشأة المقامة:

لا يوجد ثمة اختلاف على أن نشأة المقامات الأدبية كانت مشرقية، وقد

" أجمع كثير من الكتَّاب والنقاد على أن "بديع الزمان" هو رائدها، ابتكرها من واقع بيئته الثقافية والأدبية والاجتماعية، ثم جاء "الحريري" على منوالها بخمسين

---

[1] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص٧/٨.

[2] – المرجع السابق ص٨ .

[3] – تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،أنيس المقدسي، ط٦،ص٣٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩

[4] – دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، د. السيد عويضة، ص١٧.

مقامة، ثم ابن نباتة السعدي، وابن الجوزي، والشدياق، واليازجي، وعبد الله فكري..وغيرهم.

وقد سبقهم "ابن دريد" و"أحمد بن فارس" أستاذ البديع..ثم انتشر هذا الفن الأدبي ممثلا نوعًا من أنواع النثر الأدبي في العصر الأموي، تقوم على توجيه المسئولين والحكام، وتقديم المواعظ والعبر، ومن أشهر مبدعيها: "الحسن البصري" و"خالد بن صفوان" و"ومحمد بن كعب القرضي" و"محمد بن جهم" وغيرهم.

واستمرت هذه المقامة في الزهد تعقد في مجالس الخلفاء والولاة والقادة حتى جاء "بديع الزمان الهمذاني" فأوحتْ إليه مقامات الزهاد إلى أن ينشئ فنا جديدا على مثالها، وهو فن المقامة الهمذانية، وهكذا كانت مقامات الزهاد هي المصدر الأساسي لمقامات "الهمذاني"انطلق منها إلى مقاماته المشهورة" [١].

ومما يعضد هذا الرأي ويقويه ما صرح به الحريري من أن الهمذاني هو رائد هذا الفن ومبتكره، حيث قال:"...وبعد فإنه قد جرى في أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلامة همذان، رحمه الله تعالى، وعزا إلى أبي الفتح الاسكندري نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها".([٢])

وللحصري رأي مغاير ، فهو يرى أن البديع الهمذاني لم يبتدع فن المقامات، وإنما ابتدعها قبله ابن دريد، ثم جاء الهمذاني فعارضه بمقاماته، يقول:

" ولما رأى الهمذاني أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثًا وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، واستنخبها من معادن فكره،

١- من الأدب العباسي دراسة ونقدا. د.علي صبح. ص١٦٤-١٦٥. ط الأولى المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٩٨٤.وينظر: كتاب الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق. د.علي صبح . الجزء الثاني ص ١٣٤-١٣٥. ط المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٩٩٨م.

٢ - المقامات – شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي، ص١٥ دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض أعجمية، وألفاظ حوشية، فجاء أكثر ما ظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجبها الأسماع، وتوسع فيها، إذ صرف ألفاظها ومعانيها، في وجوه مختلفة وضروب متصرفة، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية، تذوب ظرفا، وتقطر حسنا".([1])

وأرى أن بديع الزمان الهمذاني له فضل البراعة والتفوق في هذا الفن، أما من ناحية ابتكاره له ففيه نظر؛ وذلك لأنه مسبوق فيه ، حتى لو لم يكن من ابتكار ابن دريد، فربما يكون من محفوظه، أو مما نقل إليه عن مجالس الخلفاء والولاة والقادة في العصر الأموي وتقديم المواعظ والعبر ، وبالتالي يكون قد وجد الأساس الذي بنى عليه هذا الفن.

ولما كانت مقامات الهمذاني منتشرة بين أيدي القراء فضلا عما فيها من جوانب فنية مشرقة وبارزة لم يسبق بها عرف بين القراء في عصره وبعد عصره بأنه منشىء فن المقامة.

د – عدد المقامات بين الهمذاني والحريري

***– عدد مقامات الهمذاني:**

مما يدعو للتأمل أن عدد مقامات البديع ظل موضع اختلاف حتى بين الدارسين المعاصرين، فهي " أربعون عند زكي مبارك، و الكلاعي، وهي خمسون عند موسى سليمان، وإبراهيم علي أبوالخشب، وهي إحدى وخمسون عند مارون عبود، وعمر فروخ، وبروكلمان، ثم هي اثنتان وخمسون عند مصطفى الشكعة، وأنا لا أتحرج من إضافة مناظرته مع الخوارزمي إلى جملة مقاماته المعروفة لتصير ثلاثا وخمسين مقامة".([2])

---

[1] – زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي اسحاق الحصري،ج١،ص٣٠٥/٣٠٦،مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٩٥٣م.

[2] – نشأة المقامة في الأدب العربي، د. حسن عباس، ص٦٥.

ويصرح الحصري بأن بديع الزمان أنشأ أربعمائة مقامة، ومن قبله صرح بذلك الثعالبي في اليتيمة، بل صرح به البديع في بعض رسائله، وربما كان ذلك غلطا من ناسخ الرسائل، فمجرد معارضة البديع لابن دريد في أحاديثه الأربعين يقتضي أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضا،ويظهر أنه صنع في نيسابور أربعين مقامة فقط، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها، فزاد ستا في مديح خلف بن أحمد في أثناء نزوله عنده، كما زاد خمسا أخرى، وبذلك أصبحت المقامات نيفا وخمسين.([1])

لم يصلنا من هذه المقامات سوى اثنتين وخمسين مقامة، وهذا ما قال به كثير من الأدباء والنقاد.

***- عدد مقامات الحريري:**

بلغ عدد مقامات الحريري خمسين مقامة ، ويؤكد هذا د. شوقي ضيف في قوله:" بل الذي حاوله الحريري منذ أول الأمر أن يجعلها خمسين ، معارضة لمقامات بديع الزمان الخمسين".([2])

ويصف الحريري إعداده مقاماته، ويذكر عددها قائلا:" وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة، وفطنة خامدة، وروية ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية".([3])

---

[1] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص١٨/١٧

[2] – المرجع السابق،ص٤٧

[3] – المقامات – شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي، ص١٦

ومن الواضح أن عدد مقامات الحريري متفق على كونها خمسين مقامة، على العكس من مقامات بديع الزمان الهمذاني ، الذي اختلف الأدباء والنقاد حول عددها كما بينا سابقا.

الفصل الأول

مضامين الاتجاه الوعظي بين الهمذاني والحريري

قبل أن نخوض غمار البحث في موضوعات الاتجاه الوعظي بين الهمذاني والحريري، يجدر بنا أن نلقي الضوء على الأغراض الأخرى التي تناولها كل منهما.

أ- بديع الزمان الهمذاني:

"موضوع المقامة عند بديع الزمان الهمذاني ليس واحدا، حقا أكثر المقامات موضوعها الكدية والاستجداء، إذ يظهر أبوالفتح الاسكندري في شكل أديب شحاذ، يخلب الجماهير ببيانه العذب، ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم".([1]) لكنه – أيضا – تناول موضوعات متعددة، أهمها:

١- المديح، ويتمثل في المقامات التي مدح فيها الهمذاني خلف بن أحمد، ومنها: المقامة الناجمية، والمقامة الملوكية.

٢- الوصف، ويتمثل في المقامة الحمدانية، والمقامة النهدية، والمقامة المضيرية.

٣-الأخبار الأدبية واللفتات النقدية، وتتمثل في المقامة القريضية، والمقامة العراقية، والمقامة الجاحظية، والمقامة الغيلانية، والمقامة الإبليسية.

٤- الفكاهة، وتتمثل في المقامة الموصلية، والمقامة الحلوانية.([2])

ب-الحريري:

تنوعت أغراض مقامات الحريري فنجد أنه قد عرض إلى :

١- الألغاز، وتتمثل في: المقامة السادسة والثلاثين، والثانية والأربعين، والرابعة والأربعين.

---

[1] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص٢٤

[2] – دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني. د. السيد عويضة، ص١٦٨/١١٧، بتصرف.

٢- النحو والفقه، وخص النحو بمقامة واحدة، هي المقامة الرابعة والعشرون، وهي المقامة القطيعية، بسط فيها اثنتي عشرة مسألة نحوية، أما الفقه فأفرد له مقامتين، هما: المقامة الخامسة عشرة المسماة بالفرضية، تحدث فيها عن مشكلة من مشاكل الميراث وأثبت حلها، ثم المقامة الثانية والثلاثون المسماة بالطيبية نسبة إلى طيبة وهي المدينة، وقد ضمنها مائة مسألة فقهية وأجوبتها، مفسرا في أثنائها الكلمات الغريبة.

٣- الحياة الأدبية وما يتصل بها، فلقد أخذ الحريري يثبت مهاراته في ذلك، وخص بها اثنتي عشرة مقامة، أرانا فيها ألعابه الفنية وكأنها ألعاب بهلوانية، واول ما يلقانا من هذه الالعاب المقامة السادسة، والسادسة عشرة، والسابعة عشرة، والسادسة والعشرون، كل هذه المقامات تدل على مقدرته الأدبية العالية.

هذا بالإضافة إلى الموضوع الرئيس لمقاماته وهو الكدية أو الشحاذة.([1])

أولا – أهم المضامين المشتركة في الاتجاه الوعظي عند الهمذاني والحريري

إن القارىء لمقامات بديع الزمان الهمذاني يجد أنه قد ألف مقامتين فقط في الاتجاه الوعظي، دعا فيهما إلى طاعة الله عز وجل، والتنفير من الدنيا، والعمل للآخرة، فهي خير وأبقى، هاتان المقامتان هما:

١ – المقامة الوعظية ٢ – المقامة الأهوازية.

وأماعن مقامات الحريري فقد خصص للاتجاه الوعظي عشر مقامات، وهذا عدد كبير إذا ما قورن بمقامتي الهمذاني الوعظيتين، والمقامات العشر الوعظية للحريري هي:

١- المقامة الأولى(الصنعانية) ٢- المقامة الثانية (الحلوانية)

٣- الحادية عشرة (السَّاويّة) ٤- الحادية والعشرون (الرَّازية)

---

[1] – المقامة، د. شوقي ضيف، ص٥٤/٦٤ بتصرف.

٥- الخامسة والعشرون (الكرجية) ٦- الحادية والثلاثون (الرملية)
٧- الثالثة والثلاثون (التفليسية) ٨- الحادية والأربعون (التنيسية)
٩- الثامنة والأربعون (الحرامية) ١٠- الخمسون (البصرية)

وأما عن أهم الموضوعات المشتركة في الاتجاه الوعظي الذي تناولها كل من الهمذاني والحريري، فهي:

١ – الحديث عن الموت والاستعداد له.

*- لقد ركز الهمذاني في وعظه في مقامته(الأهوازية)على قضية الموت؛ لينفر من الدنيا ومن التعلق بشهواتها، وأن الإنسان مهما طالت حياته، وكثرت شهواته، لابد له من امتطاء آلة الموت التي لا مناص من ركوبها، ولقد عبر عن هذا المعنى من قبلُ "كعب بن زهير" في قصيدته"بانت سعاد" التي أنشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول([1])**

يقول الهمذاني – موظفا الآلة التي يحمل عليها الإنسان بعد وفاته في وعظه وترهيبه- :

" لَتروُنَّهَا صُغْراً وَلَتَرْكَبُنَّهَا كَرْهًا وَقَسْراً، مَا لَكُمْ تَطَّيَّرونَ مِنْ مَطِّيةٍ رَكِبَهَا أَسْلاَفُكُمْ، وسَيَرْكَبُهَا أَخْلاَفُكُمْ، وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيراً وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ، وَسَيَطؤُهُ أَبْنَاؤُكُمْ، أَمَا واللهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هذهِ العِيدَانِ، إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ، وَلَتُنْتَقَلُنَّ بِهَذِهِ الجِيَادِ، إِلَى تِلْكُمُ الوِهادِ، وَيْحَكُمْ تَطَيَّرُونَ، كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرونَ، وَتَتَكَرَّهونَ، كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ، هَلْ تَنفَعُ هَذهِ الطِّيَرَةُ يا فَجَرَةُ؟".([2])

---

[1] –شرح ديوان كعب بن زهير، لأبي سعيد السكري،ص٦،طبعة مصورة عن دار الكتب.

[2] – المقامة الأهوازية، ص١٢٦،مقامات بديع الزمان الهمذاني، فاروق سعد،– دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٢م

فالهمذاني في هذا المعنى يميل إلى الوضوح والمباشرة، ويبعد عن الالتواء أو التفلسف في التعبير عن هذه المعاني، مما أدى إلى استجابة هؤلاء الشباب لوعظه وتوجيهه، ونصحه وإرشاده، حيث أشار في نهاية المقامة:

" فَلَقَدْ نَقَضَ مَا كُنَّا عَقَدْنَاهُ، وأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ، فَمِلْنَا إِلَيهِ وَقُلْنَا لَهُ: مَا أَحْوَجَنَا إِلى وَعْظِكَ، وأَعْشَقَنَا لِلَفْظِكَ".(١)

وفي هذه المقامة (الأهوازية) نرى الهمذاني يكثر من الحديث عن الموت، وذلك للتنفير من الدنيا، والإقبال على الآخرة، يقول":

" فَلْيَكُنِ المَوتُ مِنْكُمْ على ذُكْرٍ، لِئَلا تَأْتوا بِنُكْرٍ، فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشْعَرْتُمُوهُ لَمْ تَجْمَحُوا، وَمَتى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْرَحوا، وإِنْ نَسِيتُمُوهُ فَهْوَ ذَاكِرُكُمْ، وإِنْ نِمْتُمْ عَنْهُ فَهُوَ ثَائِرُكُمْ، وإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فهُوَ زَائِرُكُمْ".

ثم نراه في المقامة الوعظية يؤكد هذا المعنى، مستخدما في ذلك أسلوب الاستفهام ، يقول"

" يا نَفْسُ حَتَّامَ إِلى الحَياةِ رُكُونُكِ، وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سُكُونُكِ؟ أَما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلاَفِكِ، وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أُلاَّفِكِ، وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ، وَنُقِلَ إِلَى دَارِ البِلَى مِنْ أَقْرانِكِ؟؟".(٢)

فالهمذاني – في هذا المقطع – ، يحدث نفسه ويعظها، فهو يشرك نفسه مع من يوجه إليهم النصح والإرشاد، على عكس ما جاء في المقامة الأهوازية، التي جعلها – كلها- موجهة لمجموعة من الشباب، عقدوا العزم على الشراب والمعصية،فوجه إليهم وعظه هذا وذكرهم بالموت ، فاستجابوا له،وتراجعوا عما أقدموا عليه.

---

١ – السابق، الصفحة نفسها.

٢ – المقامة الوعظية، ص ٢٠٤

وقد أشار الهمذاني إلى إعداد العدة والاستعداد لما بعد الموت من بعث ونشور، حيث لا ينفع الإنسان إلا ما قدم من صالح الأعمال، يقول:

" أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدَى، وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً، وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَأَعِدُّوا لهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَإِنَّ بَعْدَ المَعَاشِ مَعاداً، فَأَعِدُّوا لهُ زَاداً."(١)

- **– وأما عن ذكر الموت والاستعداد له عند الحريري:**

فقد تناوله في مقاماته،وأكثر من الحديث عنه، وفاق الهمذاني في ذلك، نراه يقول في المقامة الأولى(الصنعانية):

أما الحِمام ميعادُكَ. فما إعدادُكَ؟ وبالمَشيبِ إنذارُكَ. فما أعذارُكَ؟ وفي اللّحْدِ مَقيلُكَ. فما قِيلُكَ؟ وإلى اللّه مَصيرُكَ. فمَن نصيرُكَ؟ طالما أيْقَظَكَ الدّهرُ فتَناعَسْتَ. وجذَبَكَ الوعْظُ فتَقاعَسْتَ! وتجلّتْ لكَ العِبَرُ فتَعامَيْتَ. وحَصْحَصَ لكَ الحقُّ فتمارَيْتَ. وأذْكَرَكَ الموتُ فتَناسَيتَ."(٢)

ولو تأملنا النص السابق لوجدنا الحريري يعتمد على المزاوجة بين الخبر والإنشاء،فيأتي بجملة خبرية تجري مجرى الحكمة، ليؤكد على حقيقة لا مناص منها ، ثم يردفها بجملة استفهامية؛ ليستحث السامع على أن يستعد لملاقاة تلك الحقيقة. " *أما الحِمام ميعادُكَ. فما إعدادُكَ؟ وبالمَشيبِ إنذارُكَ. فما أعذارُكَ؟ وفي اللّحْدِ مَقيلُكَ. فما قِيلُكَ؟ وإلى اللّه مَصيرُكَ. فمَن نصيرُكَ؟*".

ويظهر هذا المعنى بجلاء ووضوح في أكثر من مقامة، ففي المقامة الحادية عشرة(السَّاوية) نراه يقول بعد أن وقف على قبْرٍ يُحْفَرُ. ومجْنوزٍ يُقبَرُ:

"لمِثْلِ هذا فلْيَعْمَلِ العامِلونَ. فادّكِروا أيّها الغافِلونَ. وشمِّروا أيّها المقَصّرونَ. وأحْسِنوا النّظَرَ أيها المتبصّرونَ! ما لكُمْ لا يَحْزُنُكمْ دفْنُ الأتْرابِ. ولا يهولُكُمْ هيْلُ

---

١ – المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

٢ – المقامات – شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي،المقامة الأولى (الصنعانية) ص٢١ دار الكتاب اللبناني ، بيروت

التّراب؟ ولا تعْبأونَ بنَوازلِ الأحْداثِ. ولا تستَعِدّونَ لنُزولِ الأجْداثِ؟ ولا تستعْبِرونَ لعَينٍ تدْمَعُ. ولا تعتَبرونَ بنَعْيٍ يُسمَعُ؟ ولا ترْتاعونَ لإلْفٍ يُفقَدُ. ولا تلْتاعونَ لمناحَةٍ تُعقَدُ؟ يشيِّعُ أحدُكُمْ نعْشَ الميْتِ. وقلْبُهُ تِلْقاءَ البيتِ. ويشهَدُ مُواراةَ نسيبِهِ. وفِكْرُهُ في استِخْلاصِ نصيبِهِ. ويُخَلّي بينَ وَدودِهِ ودُودِهِ. ثمّ يخْلو بمزْمارِهِ وعودِهِ".(١)

والمتأمل في وعظ الحريري يرى أنه كالجراح الماهر الذي يضع مشرطه على مكان الألم، فهو يضع يده على الداء الذي ملك على الناس قلوبهم، فأعماهم عن الآخرة، وجعلهم لا يعتبرون بمن يدفنون، هذا الداء العضال هو حب الدنيا وكراهة الموت.

ثم نراه في المقامة الحادية والعشرون (الرازية) يعدد بعض الصفات التي تسهم في إكساب القلب حب الدنيا والتعلق بها، منها: الطمع، وعدم الورع، و يقسم بالله أن الموت لا يدفعه مال ولا بنون، فعلى الإنسان العاقل أن يستعد له بالعمل الصالح، فيقول:

" لا بالكَفافِ تقْتَنِعُ. ولا منَ الحَرامِ تمْتَنِعُ. ولا للعِظاتِ تستَمِعُ. ولا بالوَعيدِ ترْتَدِعُ! دأبُكَ أنْ تتقلّبَ معَ الأهْواء. وتخبطَ خبْطَ العَشْواء! وهمُّكَ أن تدأبَ في الاحتِراثِ. وتجْمَعَ التُراثَ للوُرّاثِ! يُعجبُك التّكاثُرُ بما لدَيكَ. ولا تذكُرُ ما بينَ يدَيْكَ. وتسعى أبداً لغارَيْكَ. ولا تُبالي أَلَكَ أمْ عَليكَ! أتظُنّ أنْ ستُترَكُ سُدًى. وأن لا تُحاسَبَ غداً؟ أم تحْسَبُ أنّ الموتَ يقبَلُ الرُّشَى. أو يُميّزُ بين الأسدِ والرّشا؟ كلاّ والله لنْ يدفَعَ المَنونَ. مالٌ ولا بَنونَ! ولا ينفَعُ أهلَ القُبورِ. سِوى العمَلِ المبْرورِ! فطوبى لمَنْ سمِعَ ووَعى. وحقّقَ ما ادّعى! ونهى النّفْسَ عنِ الهوَى. وعلِمَ أنّ الفائزَ منِ ارْعَوى! وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى. وأنّ سعيَهُ سوفَ يُرى"(٢)

٢ – التنفير من الدنيا وعدم الركون إليها:

---

١ – المقامة الحادية عشرة (الساوية) ص٨٤.

٢ – الحادية والعشرون (الرازية) ص ١٥٧.

- – من يقرأ المقامة الوعظية لبديع الزمان الهمذاني يرى أن جل هذه المقامة جعلها الهمذاني للحديث عن الدنيا والتنفير منها، و استعان فيها بكثير من الأبيات الشعرية التي تخدم هذا الغرض؛ دفعا للسأم، واستدرارا للنشاط من أجل الموعظة، يقول:

" أَلا وَإِنَّ الدُّنْيا دَارُ جَهَازٍ، وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ، مَنْ عَبَرَها سَلِمَ، وَمَنْ عَمَرها نَدِمَ، أَلا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ الفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ الْحَبَّ؛ فَمَنْ يَرْتَعْ، يَقَعْ، وَمَنْ يَلْقُطْ، يَسْقُطْ." (١)

والمتأمل في وعظ الهمذاني يرى أنه يلبسه ثوب الحكمة، التي هي خلاصة التجارب الإنسانية العميقة، التي يطلقها صاحبها في كلام موجز بليغ، ليعبر عن حقيقة يوجهها إلى الأجيال الصاعدة . ،ولا أدل على ذلك من اعتماده على الجمل القصيرة التي تنفذ إلى القلوب وتعلق بها النفس، وتفتن بها الألباب.

يقول محذرا من الدنيا:

"يا قَوْمُ الحَذَرَ الحَذَرَ، وَالبِدارَ البِدارَ، مِنْ الدُّنْيا وَمَكايِدِهَا، وَمَا نَصَبَتْ لَكُمْ من مَصايِدِها، وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِها، واسْتَشْرَفَتْ لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا.(٢)

وَفي دُونِ مَاعَايَنْتَ مِنْ فَجَعاتِهَا إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبالزُّهْدِ آمِرُ

فَجِدَّ وَلا تَغْفُلْ فَعَـيْشُـكَ بَـائِدٌ وَأَنْتَ إِلَى دارِ المَنِيَّةِ صـائِرُ

وَلا تَطْلُبِ الدُّنْيا فَإِنَّ طِلابَـهـا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ"

فالهمذاني بهذه الأبيات نراه يضفر بالشعر والنثر المقامة الوعظية ، وكأني به يلجأ إلى الشعر في هذه المقامة لعلمه بما يفعله الشعر في النفس من تأثير. وهذا ما يفسر لنا حرص الهمذاني على حشد المقامة الوعظية بثلاثين بيتا من الشعر.

ثم ينهي الهمذاني مقامته الوعظية بالتذكير بمن وقع فريسة للدنيا– وهم كثر – فلم تقلهم من عثراتهم، ولم تحقق لهم أمانيهم، يقول:

---

١ – المقامة الوعظية.ص ٢٠٤

٢ – المرجع السابق. الصفحة نفسها.

بَكَى عَلى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ، وَتَحَسَّرَ عَلى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ، حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الاسْتِعْبَارُ، وَلَمْ يُنْجِهِ الاعتذارُ.(١)

"كَمْ غَرَّتِ الدُّنيا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا؛ فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ؟ وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ، وَلَمْ تُداوِهِ مِنْ سَقَمِهِ، وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ.

بَلـــى أَوْرَدَتْهُ بَعْــدَ عِزٍّ ورِفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ ما لَهُنَّ مصادِرُ

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لاَ نَجَاةَ وَأَنَّهُ هوَ المَوْتُ لاَ يُنْجِيهِ مِنْهُ المُؤازِرُ

تَنَدَّمَ لَوْ أَغْناهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكتهُ الذُّنُوبُ الكَبَائِرُ

- **وأما عن التنفير من الدنيا وعدم الركون إليها عند الحريري:**

فنجده في مقاماته الوعظية يكثر من الحديث عن التنفير من الدنيا، وعدم الركون إليها، فالدنيا ماهي إلا قنطرة موصلة للدار الآخرة، فنراه ينادي على ابن آدم بأسلوب رقيق، يشف عن حدب وحب، كأنه أخ أو أب، يقول:

"ابن آدمَ ما أغْراكَ بما يغُرُّك. وأضْراكَ بما يضُرُّك! وألْهجكَ بما يُطْغيكَ. وأبهجَكَ بمنْ يُطريكَ! تُعْنى بما يُعَنّيكَ. وتهملُ ما يعْنيكَ. وتنزعُ في قوْسِ تعدّيكَ. وترْتَدي الحِرْصَ الذي يُرْديكَ!"(٢)

فالحريري هنا يعتمد في التنفير من الدنيا على أسلوب الاستفهام، والمفارقة في الجمع بين النقيضين، متمثلا في قوله: ما أغْراكَ بما يغُرُّك. وأضْراكَ بما يضُرُّك! وألْهجكَ بما يُطْغيكَ. وأبهجَكَ بمنْ يُطريكَ! تُعْنى بما يُعَنّيكَ. وتهمِلُ ما يعْنيكَ.

وفي المقامة الحادية والأربعين (التنيسية) نراه يترحم على ابن آدم الذي – من جهله – ركن إلى الدنيا، واستعصم بها، ولكنه ذبح منها بغير سكين، بعد أن عشقها وتكالب عى ملذاتها،ولم يأخذ منها ما ينفعه في آخرته، ثم راح يقسم بالذي

---

١ – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٢ – المقامة الحادية والعشرون (الرازية) ص١٥٦

مرج البحرين، ونور القمرين، أن الإنسان لو عقل، لما عاقر الخمر، أو غرق في الشهوات والملذات، ولو نظر في الخاتمة لحاول جاهدا أن يستدرك ما فاته، يقول:

" مِسكينٌ ابنُ آدمَ وأيُّ مِسكينٍ. ركَنَ من الدّنيا الى غيرِ رَكينٍ. واستَعصَمَ منها بغيرِ مَكسنٍ. ونُبِحَ من حُبّها بغيرِ سِكّينٍ. يَكْلَفُ بها لغَباوَتِهِ. ويَكْلَبُ عليْها لشَقاوَتِهِ. ويعْتَدّ فيها لمُفاخرَتِهِ. ولا يتزوّدُ منها لآخرتِهِ. أُقسمُ بمَنْ مرَجَ البَحرَينِ. ونوّرَ القمَرَينِ. ورفَعَ قدْرَ الحجرَيْنِ. لوْ عقَلَ ابنُ آدَمَ. لما نادَمَ. ولوْ فكّرَ في ما قدّمَ. لبَكى الدّمَ." (١)

٣ – الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل، والإخلاص في الطاعة:

*– دعا الهمذاني في وعظه إلى مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، في الأقوال والأعمال؛ لأن الله تعالى مطلع على أسرار العباد، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يقول:

" وَمِنْ فَوقِكُمْ مِنْ يَعْلَمُ أَسْرارَكُمْ، وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ، يُعَامِلُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلمٍ، وَيَقْضِي عَلَيكُمْ فِي الآخِرَةِ بِعِلمٍ"(٢)

ثم ينتقل بوعظه إلى من ضعف إيمانه،وقل إخلاصه، فقدم الدنيا على الدين، مستخدما أسلوب الاستفهام الذي يفيد التقريع، فنراه يقول"

"فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ، وَتَرْكَبُ فِي ذاكَ هوَاكَ؟ إِنِّي أَرَاكَ ضَعيفَ اليَقينِ، يَا رَاقِعَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، أَبِهذا أَمرَكَ الرَّحْمنْ، أَمْ عَلى هَذا دَلَّكَ القُرْآنُ؟

تُخَــرِّبُ مَــا يَبْقَى، وَتعْمُرُ فَانِياً فَلاَ ذَاكَ مَوْفُورٌ، وَلاَ ذَاكَ عَامرُ

فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرَاً لَدَى اللهِ عَاذِرُ

أَتَرْضَى بِأَنْ تُقْضَى الحَيَاةُ وَتَنْقَضِي وَدِينُــكَ مَنْقُوصٌ وَمَالكَ وَافِرُ؟؟ (٣)

---

١ – المقامة الحادية والأربعون (التنيسية) ص٣١٤

٢ – المقامة الأهوازية، ص١٢٧

٣ – المقامة الوعظية، ص٢٠٧

فالهمذاني ينهي أبياته الوعظية بالاستفهام الذي يستميل به قلب السامع ،لينفض عنه حب الدنيا والمال، ويعود به إلى الإخلاص في الطاعة والعبادة.

***- وأما مراقبة الله عز وجل، والإخلاص في الطاعة عند الحريري:**

فقد تناوله في مقامته الحادية والثلاثين (الرملية) التي تحدث فيها عن شعيرة الحج، وذكر عدة أشياء تجب على الحاج قبل الشروع في مناسك الحج ، وأهمها: إخلاص النية، و إمحاض الطاعة، يقول:

" يا معْشرَ الحُجّاجِ. النّاسِلِينَ منَ الفِجاجِ. أَتَعْقِلونَ ما تُواجِهونَ. والى منْ تتوجّهونَ؟ أم تدرونَ على مَنْ تَقْدَمونَ. وعلامَ تُقدِمونَ؟ أَتَخالونَ أنّ الحجّ هوَ اختِيارُ الرّواحلِ. وقطْعُ المراحِلِ. واتّخاذُ المَحامِلِ. وإيقارُ الزّوامِلِ؟ أم تظنّونَ أنّ النُسكَ هوَ نَضْوُ الأرْدانِ. وإنْضاءُ الأبْدانِ. ومُفارَقَةُ الوِلْدانِ. والتّنائي عنِ البُلْدانِ؟ كلاّ واللهِ بل هوَ اجتِنابُ الخَطيّةِ. قبلَ اجْتِلابِ المطيّةِ. وإخلاصُ النّيّةِ. في قصْدِ تلكَ البَنِيّةِ. وإمْحاضُ الطّاعةِ. عندَ وُجْدانِ الاستِطاعَةِ" (١)

فالحريري في هذا النص يوضح قيمة الإخلاص لله في الطاعة، وأن النية الخالصة هي الأساس الصحيح لكل عمل يتقرب به المسلم لخالقه.

وفي مقامته الثالثة والثلاثين (التفليسية) نراه يتحدث عن نفسه، ويبين كيف كان له أن يحافظ على الصلاة في أوقاتها، وألا يؤخرها عن وقتها، وما ذلك إلا ليبين إخلاصه لله في الطاعة، يقول:

" عاهدْتُ اللهَ تعالَى مُذْ يَفَعتُ. أنْ لا أؤَخِّرَ الصّلاَةَ ما استَطَعْتُ. فكنتُ مع جوْبِ الفَلَواتِ. ولهْوِ الخَلَواتِ. أُراعي أوْقاتَ الصّلاةِ. وأحاذِرُ منْ مأثَمِ الفَواتِ. وإذا رافَقْتُ في رِحلَةٍ. أو حلْتُ بحِلّةٍ. مرْحَبْتُ بصَوْتِ الدّاعي إلَيْها. واقتَدَيْتُ بمنْ يُحافِظُ عليْها." (٢)

---

١ - المقامة الحادية والثلاثون (الرملية) ص٢٣٦

٢ - المقامة الثالثة والثلاثون (التفليسية) ص٢٥٥

٤ – الزهد، والدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله:

- – إن الزهد من المعاني التي طرقها الوعاظ قديما وحديثا، لذلك كان طبعيا أن يعتمد عليه الهمذاني في وعظه، حيث أشار إليه، ورغب فيه، وحذر من الدنيا، والانغماس في شهواتها، والوقوع في شركها، يقول:

" أَلا وَإِنَّ الفَقْرَ حِلْيَةُ نَبِيِّكُمْ فَاكْتَسُوهَا، وَالغِنى حُلَّةُ الطُّغْيَانِ فَلاَ تَلْبَسُوها، كَذَبَتْ ظُنُونُ المُلْحِدِينَ، الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ، وَجَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ إِنَّ بَعْدَ الحَدثِ جَدَثًا، وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، فَحَذَارِ حَرَّ النَّارِ، وَبَدَارَ عُقْبَى الدَّارِ" (١)

فالهمذاني نراه يدعو إلى الزهد في الدنيا، ويعبر عنه بالفقر، وإن كان الفرق بينهما كبيرا، فالزهد لا يكون إلا مع وجود الغنى ، فيؤثره صاحبه على الغنى، ومن هنا تكمن قيمة الزهد، وأما الفقر فصاحبه مجبور على الزهد، وفرق كبير، وبون شاسع بين المعنيين.

- **– وأما الحريري:**

فقد كانت دعوته إلى الزهد أخف وطأة من الهمذاني، حيث دعا الناس إلى الإنفاق في سبيل الله، وعدم الاغترار بالدنيا، والزهد فيها، فهي مهما طالت قصيرة، يقول:

" يا أَرْبابَ الثّراء. الرّافِلِينَ في الفِراء. مَنْ أوتيَ خيراً فلْيُنْفِقْ. ومن استَطاعَ أن يُرفِقْ فلْيُرْفِقْ. فإنّ الدُّنيا غَدورٌ. والدهرَ عَثورٌ. والمُكنَةَ زَورَةُ طَيْفٍ.

والفرصةُ مزنةُ صيفٍ". (٢)

---

١ – المقامة الوعظية ص ٢٠٤.

٢ – المقامة الخامسة والعشرون (الكرجية) ص١٩٠

فالحريري في وعظه ، ودعوته إلى الإنفاق أراه معتدلا، يوجه وعظه إلى أصحاب الثراء، الذين يرفلون في النعيم، ويحثهم على الإنفاق في سبيل الله، ويذكرهم بأن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة.

٥ – الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق:

- – أشار الهمذاني – على استحياء – في مقامته " الوعظية" إلى الدعوة للتحلي بالأخلاق الحميدة ، والتمسك بالفضائل المجيدة، من مثل قوله:

" زَيِّنُوا العِلْمَ بالعَمَل، وَاشْكُرُوا القُدْرَةَ بِالْعَفْوِ، وَخُذُوا الصَّفْوَ وَدَعوا الكَدَرَ، يَغْفِرِ اللهُ لِي وَلَكُمْ".(١)

- ***أما الحريري:***

فقد بسط – في وعظه– القول في الدعوة للتحلي بالأخلاق الكريمة، والصفات العظيمة، مثل فضيلة الصدق التي حث عليها في أكثر من مقامة، يقول:

"و أيْمُ اللهِ لَلحَقُّ أحَقُّ أنْ يُتّبَعَ. ولَلصّدْقُ حَقيقٌ بأنْ يُستَمَعَ!"(٢)

ويقول في مقامة أخرى، مبينا قيمة هذه الصفة الجليلة:

" أما تعْلَمونَ أنّ لَبوسَ الصّدقِ أبْهى الملابسِ الفاخِرةِ. وأنّ فُضوحَ الدُنيا أهوَنُ منْ فُضوحِ الآخِرَةِ؟ وأنّ الدّينَ إمْحاضُ النّصيحَةِ. والإرْشادَ عُنوانُ العَقيدَةِ الصّحيحةِ؟ وأنّ المُستَشارَ مُؤتَمَنٌ. والمستَرشِدَ بالنُصحِ قَمِنٌ؟ "(٣)

فالحريري يركز على تلك الصفة؛ لأنها الصفة التي تبنى عليها كل الصفات الحميدة، وإذا فقدها الإنسان فقد كل شيىء، وأصبح لا قيمة له.

---

١ – المقامة الوعظية، ص ٢٠٦

٢ – المقامة الثانية (الحلوانية)، ص٢٧

٣ – المقامة الثامنة والأربعون (الحرامية) ص ٣٩٩

ثم نراه في المقامة الحادية والعشرين "الرازية" يتكلم عن نفسه، ويذكر أنه منذ نعومة أظفاره كان حريصا على التحلي بمحاسن الأخلاق، والبعد عما يعيبها ويصمها، فيقول:

" عُنيتُ منْ أحْكَمتُ تَدبيري. وعرَفْتُ قَبيلي منْ دَبيري. بأنْ أُصْغِيَ الى العِظاتِ. وأُلْغِيَ الكَلِمَ المُحْفِظاتِ. لأتحلّى بمَحاسِنِ الأخْلاق. وأتخلّى ممّا يَسِمُ بالإخْلاق. وما زلتُ آخُذُ نفْسي بهذا الأدَب. وأُخْمِدُ بهِ جمْرَةَ الغضَب. حتى صارَ التطبُّعُ فيهِ طِباعاً. والتكلّفُ لهُ هوًى مُطاعاً."(١)

- – هذه هي أهم الموضوعات الوعظية المشتركة التي طرقها كل من الهمذاني والحريري، بيد أن هناك بعض الموضوعات التي انفرد كل منهما عن الآخر بالحديث عنها.

ثانيا – أهم الموضوعات الوعظية التي انفرد بها الهمذاني :

هناك بعض الموضوعات الوعظية طرقها الهمذاني ولم يطرقها الحريري منها:

١ – الاعتبار بقصص السابقين:

كانت الدعوة إلى النظر في قصص الأمم السابقة لأخذ العبر محط نظر الهمذاني واهتمامه، لذا نراه يركز على هذا المعني، فيقول:

" انْظُرْ إلى الأُمَمِ الخَالِيةِ، وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيَّامُ، وَأَفْنَاهُمُ الحِمَامُ؟ فَانْمَحَتْ آثارُهُمْ، وَبَقِيَتْ أَخْبارُهمْ.

فَأَضْحَوْا رَمِيماً في التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ و مَقَاصِرُ
وخَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَما جَمَعُوا بِها وَما فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صابرُ
وَحَلوا بِـــــدَارٍ لاَ تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّـــــى لِسُكَّانِ القُبُـــــورِ التزَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلاَّ رُمُوساً ثَوَوْا بِها مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْها الأَعَاصِرُ(٢)

---

١ – المقامة الحادية والعشرون (الرازية) ص١٥٥

٢ – المقامة الوعظية، ص ٢٠٥

فالهمذاني يلجأ إلى الشعر في الحديث عن الاعتبار بما حدث للأمم السابقة، والملوك الفانية، ويورد بعض الأبيات التي تصور حالهم بعد الموت، وانتقالهم من القصور إلى القبور.

أيضا نري الهمذاني في نهاية المقامة يؤكد ما سبق بقوله:

" كَمْ عَايَنْتَ مِن ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ، وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ، قَدْ تَمكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ، وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ، فَبَنَى الحُصُونَ وَالدَّسَاكِرَ، وَجَمَعَ الأَعْلاَقَ وَالعَسَاكِرَ.

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ المَنِيَّـــةِ إِذْ أَتَتْ مُبادِرَةً تَهْوِى إِلَيْهِ الــذَّخــائِرُ

وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ الحُصونُ الَّتي بَنَــى وَحَفَّتْ بِها أَنْهارُها والــدَّســاكِــرُ

وَلا قَارَعَــتْ عَنْهُ الــمَــنِــيَّةَ حِــيلَــةٌ وَلا طَمِعَتْ في الذَّبِّ عَنْهُ العَساكِرُ(١)

ولا شك في أن استخدام الهمذاني للشعر أضفى على وعظه مسحة من الجلال والرهبة غرسها في نفوس مستمعيه.

٢ – الدعوة إلى العلم ، ومعرفة فضله:

تحدث الهمذاني عن فضل العلم في المقامة الوعظية، وبين أن العلم له رسالته السامية،ودوره الفاعل في بناء الإنسان والمجتمع، يقول:

" أَلا وَإِنَّ العِلْمِ أَحْسَنُ عَلَى عِلاَّتِهِ، وَالجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى حَالاتِهِ وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّماءُ، إِنْ شَقِيَ بِكُمُ العُلماءُ، النَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ، فإِنِ انْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ، نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ، وَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: عَالِمٌ يَرْعَى، وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى، وَالبَاقُونَ هامِلُ نَعامٍ، وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ"(٢)

فالنص السابق يظهر فيه بوضوح دعوة الهمذاني للإقبال على العلم؛ فهو شرف لصاحبه، يسمو به ، فكم من شريف بآبائه أضحى بالجهل وضيعا،وكم من وضيع نفض العلم عنه وضاعته،وجعله يتقدم الصفوف، وينال المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة.

---

١ – المقامة الوعظية، ص ٢٠٥

٢ – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وفي هذا المعنى يقول أبو الأسود الدؤلي :

فـــي بـــيـــتِ مكرمةٍ آبـــاؤه نُجُبٌ كانـــوا رؤوسًا فأمســـى بعدهم ذنبـــــا (١)

هذه أهم الموضوعات التي انفرد بها الهمذاني في وعظه عن الحريري.

ثالثا- أهم الموضوعات الوعظية التي انفرد بها الحريري :

إن القارىء لمقامات الحريري الوعظية يجد أنه طرق عدة موضوعات لم يتطرق إليها الهمذاني في مقامتيه، وذلك أمر طبعي؛ لأن الحريري كان أطول نفسا من الهمذاني، حيث أنشأ عشر مقامات في الوعظ، وهذا مما أتاح للحريري التنقل بن الموضوعات المختلفة كما يتنقل النحل بين الأزهار لينهل من عبيرها ورحيقها.

ومن أهم الموضوعات التي انفرد بها:

١ – الدعوة إلى عدم التيه والعجب بالإمارة أو الولاية:

دعا الحريري في مقامته الحادية والعشرين " الرازية " إلى عدم التيه والعجب بالإمارة أو الولاية؛ وحذر أصحابها من التيه بها، أو الزهو بزخرفها، فإنها لا تدوم. يقول:

" أيها المتوشح بالولاية. المترشح للرعاية. دع الإدلال بدولتك. والاغترار بصولتك فإن الدولة ريح قلب. والإمرة برق خلب. وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته. وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته. فلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها. ويحب العاجلة ويبتغيها .ويظلم الرعية ويؤذيها. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها. فوالله ما يغفل الديان .ولا تمهل يا إنسان. ولا تلغى الإساءة ولا الإحسان. بل سيوضع لك الميزان. وكما تدين تدان. قال فوجم الوالي لما سمع. وامتقع لونه وانتفع. وجعل يتأفف من الإمرة.

---

[١] – ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري،تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ص٣٨٣،الطبعة الثانية المنقحة والمصححة١٤١٨هـ/منشورات دار ومكتبة الهلال.

ويردف الزفرة بالزفرة. ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه. وإلى المشكو منه فأشجاه. وألطف الواعظ وحباه"(١)

فالحريري في هذه المقامة يعظ أحد الأمراء ويقول له: أيها المتزين بالولاية، اترك التيه والإعجاب بدولتك، ولا تغتر بقوتك، فإنما الأيام دول ،وأن أسعد الولاة من سعدت به رعاياه، وأتعسهم وأشقاهم في الدارين من ساءت رعاياه، فلا تكن ممن يحتقر الآخرة، ويحب العاجلة، ويظلم الرعية، ويفسد في الارض، فوالله ما يغفل الديان، وأن الله لا يهمل الإنسان، وسيضع لك الميزان، وكما تدين تدان، فخاف الوالي لما سمعه، فتغير لونه، وجعل يتأفف من الإمارة، ثم أزال شكوى المظلوم، وقرب الواعظ إليه وحباه، لأنه أنار السبيل أمامه، ففتح عينيه على الحق.

٢ – الدعوة إلى التوبة، والندم على ما مضى:

من الموضوعات التي عني بها الحريري في وعظه الدعوة إلى التوبة، والندم على ما فرط في جنب الله، يقول في مقامته الحادية والأربعين " التنيسية" :

" أطَعْتُ دَواعيَ التّصابي. في غُلَواء شَبابي. فلمْ أزَلْ زِيراً للغِيدِ. وأُذُناً للأغارِيدِ. الى أن وافَى النّذيرُ. وولّى العيشُ النّضيرُ. فقَرِمْتُ الى رُشْدِ الانتِباهِ. وندِمْتُ على ما فرّطْتُ في جنْبِ اللهِ. ثمّ أخذْتُ في كسْعِ الهَناتِ بالحَسَناتِ. وتلافي الهَفَواتِ قبلَ الفَواتِ. فمِلْتُ عنْ مُغاداةِ الغاداتِ. الى مُلاقاةِ الثُّقاةِ. وعنْ مُقاناةِ القَيْناتِ. الى مُداناةِ أهلِ الدّياناتِ" (٢)

---

١ – المقامة الحادية والعشرون " الرازية" ص١٦٠

٢ – المقامة الحادية والأربعون" التنيسية" ص ٣١٤

فالحريري في هذه المقامة يندم على ما قدم في شبابه من انغماس في الشهوات، والوقوع في حبائل الشيطان، فقد جاءه النذير، وولى عيشه النضير، فأقبل على فعل الخيرات، وترك المنكرات.

ونراه في المقامة الخمسين " البصرية" يؤكد هذا المعنى بقوله:

" فادْعوا الى اللهِ بتوْفيقي للمَتابِ. والإعْدادِ للمآبِ. فإنهُ رفيعُ الدّرَجاتِ. مُجيبُ الدّعَواتِ. وهوَ الذي يقبلُ التّوبَةَ عنْ عِبادِهِ ويعْفو عنِ السّيّئاتِ. ثمّ أنشدَ:

أستغْفِرُ اللــــهَ مــنْ ذُنُــوبٍ أفرَطْتُ فيهِــنّ واعْــتَــدَيْتُ

كمْ خُضْتُ بحْرَ الضّلالِ جهْلاً ورُحتُ في الغَيّ واغْتَــدَيْتُ

وكمْ أطَعْتُ الهَوى اغْتِــراراً واختَلْتُ واغْتَلْتُ وافْتــرَيْتُ

وكمْ خلَعْتُ العِذارَ ركْــضــاً الى المَعاصي ومــا ونَــيْتُ

وكمْ تَناهَيْتُ في التّخــطّــي الى الخَطايا وما انتــهــيْتُ

فلَيتَني كُــنــتُ قــبــل هــذا نَسْياً ولمْ أجْنِ مــا جــنَــيْتُ

فالمَوتُ للُــجْــرِمــين خــيرٌ من المَساعي التي ســعَــيْتُ

يا رَبِّ عفْواً فــأنْــتَ أهــلٌ للعَفْوِ عنّي وإنْ عــصَــيْتُ (١)

وخلاصة ما سبق أن الموضوعات الوعظية التي طرقها كل من الهمذاني والحريري في مقاماتهما، يمكن أن نصنفها على النحو التالي:

*** – موضوعات مشتركة بينهما، وهي:**

١ – الحديث عن الموت والاستعداد له.

٢ – التنفير من الدنيا وعدم الركون إليها.

٣ – الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل، والإخلاص في الطاعة.

٤ – الزهد، والدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله.

---

[١] – المقامة الخمسين " البصرية" ص٤١٩

٥ – الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق.

- **– موضوعات انفرد بها الهمذاني، منها:**

١ – الاعتبار بقصص السابقين.

٢ – الدعوة إلى العلم ، ومعرفة فضله.

- **– موضوعات انفرد بها الحريري، منها:**

١ – الدعوة إلى عدم التيه والعجب بالإمارة أو الولاية.

٢ – الدعوة إلى التوبة، والندم على ما مضى.

الفصل الثاني

أبرز الخصائص الفنية للمقامات الوعظية عند الهمذاني والحريري

مما لا شك فيه أن أي فن من فنون الأدب له خصائصه وسماته التي تميزه من غيره،وقد يتفرد بهذه الخصائص، وقد يشترك مع غيره فيها، وفن المقامة عمل إبداعي، وحين يجمع الأديب عناصر التأثير في المتلقي من لغة موحية،وخيال محلق،وإيقاع مؤثر، فإنه يفتح دروبا من الآفاق الشعورية، فتهتز لها الأحاسيس، وتطرب لها المشاعر،وحينئذ يشعر المتلقي بالمتعة والفائدة.

ومن خلال ما تم عرضه في الفصل الأول من نماذج للاتجاه الوعظي في مقامات الهمذاني والحريري يمكننا أن نضع أيدينا على أبرز الخصائص الفنية التي اتسم بها كل من الأديبين في هذا الغرض، وأهمها:

أولاً – الألفاظ والأساليب :

تعد اللفظةُ الأداةَ التي بها يعبر الأديب عما يجيش في صدره، ويدور في خلجات نفسه، فالكلمة هي:"أداة الأديب في نقل أفكاره، ورسم صوره، وبناء موسيقاه، وهي الوعاء الذي يصب فيه الأديب ما تجيش به عاطفته من معان وخواطر وأحاسيس ومشاعر، وهي بالنسبة للأديب كالألوان للرسام، والحجر للمثال، ومن هذه الكلمة تتكون العبارة، وتتكون الصورة الأدبية، ويتخلق أسلوب الأديب الذي يعرف به، وينسب إليه، ومن الكلمة تتكون الموسيقى اللفظية فيما نقرؤه من شعر موزون، وفيما نتلوه من جمل لها توقيع منغوم" (١)

---

١ – في ميزان النقد الأدبي،د/طه أبو كريشة ص٢١ ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

ومن خلال ما عرضناه في الفصل الأول يمكن لنا أن نجمل الحديث عن الخصائص الفنية للألفاظ والأساليب في أربع خصائص، هي:

١ – السهولة والألفة والوضوح:

- إن المتأمل في ألفاظ الهمذاني في مقامتيه "الوعظية والأهوازية" يجد– أكثرها– ألفاظا مألوفة، لا تحتاج إلى كد ذهن،أو البحث عنها في قواميس اللغة لإزالة ما يكتنفها من غموض أو إبهام؛ لأنه عني بها عناية فائقة، فجاءت موافقة وملائمة للمعنى الذي أراده، فنراه قد أجاد في اختيار ألفاظه، وتأليف عباراته، ولا أدل على ذلك من قوله

"أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدَى، وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً، وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَأَعُدُّوا لهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَإِنَّ بَعْدَ المَعَاشِ مَعاداً، فَأَعِدُّوا لهُ زَاداً، أَلا لاَ عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ المَحَجَّةُ، وَأَخِذَتْ عَلَيْكُمُ الحُجَّةُ، مِنَ السَّماءِ بِالخَبَرِ، وَمِنَ الأَرْضِ بِالعِبَرِ، أَلا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الخَلْقَ عَلِيماً، يُحْيِ العَظامَ رَمِيماً، أَلا وَإِنَّ الدُّنيا دَارُ جَهَازٍ، وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ، مَنْ عَبَرَها سَلِمَ، وَمَنْ عَمَرها نَدِمَ."(١)

فالهمذاني في هذه المقامة يتحدث بلغة سهلة رقيقة مفهومة، وكأنه بذكائه الحاد قد فطن إلى أن الموعظة – عادة – تكون للخاصة والعامة، فراعى فيها المستوى الثقافي لجميع الناس حتى تكون المنفعة أشمل وأعم.

لكنه – أحيانا – يجنح إلى استخدام بعض الألفاظ التي تؤدي إلى الغموض والإبهام، ويتضح ذلك في استهلاله لمقامته "الأهوازية" حينما قال:

" حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قال: كُنْتُ بِالأَهْوازِ، فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّل، لَيْسَ فِينَا إِلاَّ أَمْرَدُ بِكْرُ الآمال، أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الإِقْبال، مَرْجُوٌّ الايَّامِ وَاللَّيال، فَأَفَضْنَا فِي العِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا، وَالأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا، وَالسُّرورِ فِي

---

١ – المقامة الوعظية، ص ٢٠٤

أيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ، والشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتعاطاهُ، وَالانْسِ كَيْفَ نَتَهَاداهُ، وَفَائتِ الحَظِّ كَيْفَ نَتَلافَاهُ." (١)

فقوله: " في رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلِ"شطر بيت لامرىء القيس، يحتاج إلى شرح وتفسير وتوضيح ، وهذا ما قام به الشيخ محمد عبده، حيث فسره بأن المقصود هو أن هؤلاء الرفقة في براعة جمالهم، وجهارة هيآتهم، لا تصعد العين فيهم بالنظر إلا وتنحط عنهم غاضة ما يصيبها من البهر.

بينما يرى الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد وجهين:

الأول: أن أعلاه يروق للعين ويستهويها، وأسفله كذلك، فإذا نظرت العين أعلاه شاقها أن تنظر إلى أسفله.

الآخر: أن أعلاه يبهر العين بهرا شديدا، فإذا نظرت إليه خافت أن تحسده فأغمضت إلى أسفل كي لا تؤثر فيه. (٢)

كذلك في نهاية هذه المقامة (الأهوازية) نراه يجري حوارا بينه وبين هؤلاء الشباب الذين كانوا يستمعون لوعظه ، يقول:

" قُلْنَا: فَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أَطْوَلُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ، قُلْنَا: فَسَانِحُ الوَقْتِ، قَالَ: رَدُّ فَائتِ العُمْرِ، وَدَفْعُ نَازِلِ الأَمْرِ، قُلْنَا: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرِفِهَا، قَالَ لا حَاجَةَ لِي فِيهَا، وإِنمَا حَاجَتِي بَعْدَ هَذا أَنْ تَخِذُوا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَعُوا."

فالوخد :ضرب من سير سريع، وهي لفظة قليلة الاستعمال، والمقصود أن تعملوا أهم من الاستماع إلى النصائح. وإصراره على استعمال كلمة الوخد دليل على اهتمامه بإظهار براعته اللغوية.

---

١ – المقامة الأهوازية، ص١٢٦

٢ – دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني. د. السيد عويضة، ص١٦٨/١١٧، بتصرف.

- **وأما عن الحريري :**

" فقد كان لديه من الذكاء والإحساس بألفاظ اللغة ما جعله ينفي عن عمله كل غضاضة وكل ضيق، فما تقرؤه حتى تشعر أنك ارتبطت به، وأنه عقد بينك وبينه رابطة مودة لا لسبب إلا أنه كان يعرف كيف يختار ألفاظه، وكيف ينتخبها، بحيث تلتئم مجموعاتها على نحو ما تلتئم الأنغام الصادرة عن آلات موسيقية مختلفة." (١) ولا أدل على ذلك من قوله:

" أُقسمُ بمَنْ مرَجَ البَحرَين. ونوّرَ القمَرَين. ورفَعَ قدْرَ الحجريْن. لوْ عَقَلَ ابنُ آدَمَ. لما نادَمَ. ولوْ فكّرَ في ما قدّمَ. لبَكى الدّمَ. ولوْ ذكَرَ المُكافاةَ. لاستَدرَكَ ما فاتَ. ولوْ نظَرَ في المآلِ. لحسّنَ قُبْح الأعْمالِ." (٢)

فالحريري – أيضا – يجنح في ألفاظه إلى السهولة والوضوح، وإذا تأملنا هذه اللبنات التي اعتمد عليها ، لوجدناها جاءت ملائمة ومناسبة للمعنى الذي يتحدث عنه،وهو التذكير بالموت والاستعداد له، و الدعوة إلى التوبة، والندم على ما مضى، فمن الألفاظ المناسبة لذلك قوله :

" لو عَقَلَ ابنُ آدَمَ. لما نادَمَ. ولوْ فكّرَ في ما قدّمَ. لبَكى الدّمَ. ولوْ ذكَرَ المُكافاةَ. لاستَدرَكَ ما فاتَ. ولوْ نظَرَ في المآلِ. لحسّنَ قُبْح الأعْمالِ."

ولكنه – أيضا– يسير على خطى الهمذاني فنراه يميل إلى الصنعة اللفظية مما يدفعه إلى استخدام بعض الالفاظ التي توقعه في الغموض والإبهام، من ذلك قوله في مطلع مقدمته الأولى (الصنعانية):

" حدّثَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قالَ: لمّا اقتَعدْتُ غاربَ الاغترابِ. وأنْأتْني المَترَبَةُ عنِ الأتْرابِ. طوّحَتْ بي طَوائحُ الزّمَنِ. الى صنْعاء اليَمَنِ." (٣)

---

١ – المقامة، د. شوقي ضيف، ص٦٦.

٢ – المقامة الحادية والأربعون (التنيسية) ص٣١٥

٣ – المقامة الأولى (الصنعانية) ص١٨

فالحريري استعار "الغارب" وهو مقدم ظهر الدابة للتعبير عن الاغتراب، والبعد عن الأصدقاء، وهذا فيه غموض لا يتناسب مع موضوع المقامة وهو الوعظ.

٢ – التأثر بالبيان القرآني والبيان النبوي:

المتأمل فى ألفاظ المقامات الوعظية وأساليبها لدى الهمذاني والحريري يرى الألفاظ الموحية، والأساليب المعبرة التى استقاها كل منهما من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف،مما أضفى عليها مهابة وظلالا روحية، ولا عجب في ذلك؛لأنهما تربيا على ذلك النبع الصافي ،ورشفا رحيق العربية، فأحسنا التعبير عنها بذلك الأسلوب الذي ينم عن ثقافة إسلامية واسعة، اعتمدا عليها في تأكيد رأى رأياه، أو حكم قطعا به ليقنعا الآخرين بما اتجها إليه، والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة ومتنوعة وأكبر من أن تحصى أو تعد .

واعتمادهما على البيان القرآني والبيان النبوي أضفى على مقاماتهما روعة و جلالا ، وأكسبها فصاحة وبيانا، مما جعل مقاماتهما لوحات فنية، تزخر بالألفاظ القرآنية، والأحاديث النبوية، ولا غرو فى ذلك، لأن موضوع المقامات يتطلبه وينشده. والأمثلة التي تنطق به كثيرة ، منها:

قول الهمذاني في مقامته (الوعظية) التي ركز فيها على ضرورة الاستعداد للموت ودخول القبر والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وذلك بالإكثار من فعل الصالحات.

" أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدَى، وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً، وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَأَعُدُّوا لهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَإِنَّ بَعْدَ المَعَاشِ مَعاداً، فَأَعِدُّوا لهُ زَاداً"

فالمتأمل في النص السابق يرى الهمذاني ينهل من البيان القرآني، ويقتبس من قول الله تعالى " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ "(١)

وفي حديثه عن الملحدين الذين أشركوا بالله تعالى، نراه يخلع عليهم من الصفات ما جاء به القرآن الكريم صراحة، يقول:

" كَذَبَتْ ظُنُونُ المُلْحِدِينَ، الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ، وَجَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ إِنَّ بَعْدَ الحَدثِ جَدَثًا، وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا"

فالمقطوعة السابقة ناطقة بتأثر الهمذاني بالقرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه، من قول الله تعالى: " كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ "(٢)

وأما عن موقفه من البيان النبوى فلا يختلف كثيرا عن موقفه من البيان القرآنى ، فقد اتجه الهمذاني صوبه، ينهل من معينه،ويرتشف من رحيقه، ويتنسم أريجه وعبيره،والأمثلة التي تشع بالبيان النبوي في مقامتيه كثيرة، منها قوله في المقامة (الوعظية) مخاطبا من يؤثر الدنيا على الآخرة:

"فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ، وَتَرْكَبُ في ذاكَ هوَاكَ؟ إِنِّي أَرَاكَ ضَعيفَ اليَقينِ، يَا رَاقِعَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، أَبِهذا أَمَرَكَ الرَّحْمنْ، أَمْ عَلى هَذا دَلَّكَ القُرْآنُ؟"

فالهمذاني في هذا النص نراه ينهل من معين البيان النبوي، ويعتمد على قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي الشريف الذي رواه الترمذي بسنده عن

أسماء بنت عميس الخثعمية، قالت :" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس

---

١ – سورة الأنفال، الآية ٦٠

٢ – سورة الحجر، الآيات ٩٠-٩٣.

العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات ،بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله، بئس العبد عبد رغب يذله" (١)

وأيضا من النماذج التي يفوح منها عبق الهدي النبوي قوله:

" أَلا وَإِنَّ الفَقْرَ حِلْيَةُ نَبِيِّكُمْ فَاكْتَسُوهَا، وَالغِنى حُلَّةُ الطُّغْيَانِ فَلاَ تَلْبَسُوها"

نراه يتكىء على الحديث النبوي الشريف الذي رواه الترمذي عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يُخْبِرُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ الْحِلْيَةَ وَالْحَرِيرَ ، وَيَقُولُ : " إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ حِلْيَةَ الْجَنَّةِ وَحَرِيرَهَا ، فَلَا تَلْبَسُوهَا فِي الدُّنْيَا " (٢)

وأما عن الحريري:

فقد سار على نهج أستاذه الهمذاني، فكانت مقاماته الوعظية لوحات فنية، يشع منها البيان القرآني والبيان النبوي، غير أنه كان أكثر من أستاذه تأثرا واستشهادا بهما، والأمثلة على ذلك كثيرة، نقتطف منها قوله في مقامته (الصنعانية):

" يَواقيتُ الصّلاتِ. أعْلَقُ بقَلبكَ منْ مَواقيتِ الصّلاةِ. ومُغالاةُ الصَّدُقاتِ. آثَرُ عندَكَ من مُوالاةِ الصَّدَقاتِ. وصِحافُ الأَلْوانِ. أشْهى إلَيْكَ منْ صَحائفِ الأدْيانِ. ودُعابَةُ الأقْرانِ. آنَسُ لكَ منْ تِلاوَةِ القُرْآنِ! تأمُرُ بالعُرْفِ وتَنتَهِكُ حِماهُ. وتَحْمي عنِ النُّكْرِ ولا تَتحاماهُ! وتُزحزِحُ عنِ الظُّلْمِ ثمْ تغْشاهُ. وتخْشَى الناسَ واللهُ أحقُّ أنْ تخْشاهُ!"

فلو تأملنا هذا النص لرأينا اعتماد الحريري على البيان القرآني ظاهرا جليا في موضعين:

١- الجامع الصحيح ،سنن الترمذي – للإمام محمد بن عيسى الترمذي،تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون،ج٤/ص ٦٣٢،دار إحياء التراث العربي- بيروت- حديث رقم:٢٤٤٨.

٢ – السنن الكبرى، للإمام أحمد بن شعيب أبوعبدالرحمن النسائي، تحقيق: د.عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن ، ج ٥/ص ٤٣٤، الطبعة الاولى ،دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م – حديث رقم:٩٤٣٦

الأول: قوله:" *تأمُرُ بالعُرْفِ وتَنتَهِكُ حِماهُ. وتَحْمي عنِ النُّكْرِ ولا تَتحاماهُ! وتُزحزِحُ عنِ الظُّلْمِ ثمْ تغْشاه*" يتكىء فيها على قول الله تعالى:(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)([1])

ا. الآخر: قوله: " *وتخْشَى الناسَ واللهُ أحقُّ أنْ تخْشاهُ!*" جزء – بفصه ونصه – من الآية الكريمة " وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا" ([2])

ومن المقامات الوعظية لدي الحريري التي اعتمد في بناء معانيها وتشكيل صورها على البيان القرآني المقامة (الرازية) حيث يقول فيها:

" كلاّ واللهِ لنْ يدفَعَ المَنونَ. مالٌ ولا بَنونَ! ولا ينفَعُ أهلَ القُبورِ. سِوى العمَلِ المبْرورِ! فطوبى لمَنْ سمِعَ ووَعى. وحقّقَ ما ادّعى! ونهى النّفْسَ عنِ الهوَى. وعلِمَ أنّ الفائزَ منِ ارْعَوى! وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى. وأنّ سعيَهُ سوفَ يُرى"

فهذا النص يكشف بجلاء مدى تأثر الحريري بالقرآن الكريم، وتشبع روحه من نسماته وعبيره، وارتشافه من رحيقه وأزاهيره، فقوله: *" كلاّ واللهِ لنْ يدفَعَ المَنونَ. مالٌ ولا بَنونَ! ولا ينفَعُ أهلَ القُبورِ. سِوى العمَلِ المبْرورِ*" متأثر بقول الله تعالى: " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " ([3]) وقوله: *" فطوبى لمَنْ سمِعَ ووَعى. وحقّقَ ما ادّعى! ونهى النّفْسَ عنِ الهوَى" متأثر بقول الله تعالى:*

" وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى *فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى"([4])

---

[1] – سورة البقرة، الآية:٤٤

[2] – سورة الأحزاب، الآية:٣٧

[3] – سورة الشعراء، الآيات : ٨٧–٨٩

[4] – سورة النازعات، الآيتان ٤٠–٤١

وقوله:" *وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى. وأنّ سعيَهُ سوفَ يُرى*" آيتان كريمتان من سورة(النجم) "وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى" (١)

وهذا الحشد الكبير للآيات القرآنية في هذا النص إنما يدل دلالة قاطعة على مدى تأثر الحريري بالقرآن الكريم في ألفاظه، ومعانيه، وأساليبه، وصوره.

وأما عن البيان النبوي عند الحريري، فنراه واضحا جليا، لا يحتاج إلى كد ذهن، ولا إعمال عقل في أن نضع أيدينا عليه بسهولة ويسر، من مثل قوله في مقامته (الحرامية) مبينا أهمية النصيحة:

" *وأنّ الدّينَ إمْحاضُ النّصيحَةِ. والإرْشادَ عُنوانُ العَقيدَةِ الصّحيحة*"

فالمعنى مأخوذ من الحديث النبوي الشريف الذي رواه مسلم عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" الدين النصيحة .قلنا لمن؟ قال :لله ،ولكتابه ،ولرسوله ،ولأئمة المسلمين وعامتهم " (٢)

وفي المقامة (الرازية) يقول الحريري:

" *فوالله ما يغفل الديان .ولا تمهل يا إنسان. ولا تلغى الإساءة ولا الإحسان. بل سيوضع لك الميزان. وكما تدين تدان.*"

فالحريري في هذا النص ينهل من البيان النبوي ،حيث اتكأ على الحديث الشريف الذي رواه البيهقي من حديث أَبِي قِلابَةَ ، قَالَ : "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْبِرُّ لا يَبْلَى ، وَالإِثْمُ لا يُنْسَى ، وَالدَّيَّانُ لا يَنَامُ ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ"(٣)

---

١ – سورة النجم، الآيات:٣٩– ٤١

٢ – السنن الكبرى، للإمام أحمد بن شعيب أبوعبدالرحمن النسائي، تحقيق: د.عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن ، ج ٤/ص ٤٣٢، الطبعة الاولى ،دار الكتب العلمية– بيروت، ١٤١١هـ–١٩٩١م – حديث رقم:٧٨٢١

٣ – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي،ج ١٦/ص ٣،مؤسسة الرسالة – بيروت، حديث رقم : ٤٣٦٧٢

وما تلك الاستشهادات إلا غيض من فيض، وقطرة من سيل، أوردناها للدلالة على تشبع الأديبين بالثقافة الإسلامية ، التي شكلت وجدانهما، فأبدعا تلك المقامات الوعظية، التي تعد تحفة أدبية، لما تتسم به من سمات و خصائص فنية، جعلتها بحق أنموذجا يحتذى به محبو الأدب وعشاقه.

٣- استخدام الشعر وتوظيفه وتطعيم المقامات به:

من أهم خصائص الأسلوب في المقامات الوعظية عند الهمذاني والحريري استخدامهما للشعر وتوظيفه توظيفا فنيا يساعد في إبراز المعاني التي يريدها كل منهما.

فالهمذاني في مقامته (الوعظية) نراه ينسج خيوطها بالشعر والنثر معا، وقد غلب عليها فن الشعر الذي جاء في خضم النثر المسجوع، وقد بلغ عدد الأبيات التي استشهد بها ثلاثين بيتا ، ضفر بها مقامته الوعظية.

والأمر العجيب أنك لا تشعر بانتقاله من النثر إلى الشعر؛ لأنه وظف تلك الأبيات في مواقعها التي تطلبها المعنى، وأرادها السياق ، وهذا ما تفوق فيه الهمذاني على الحريري، ولعل السر في ذلك راجع إلى كون الهمذاني شاعرا مجيدا، نضحت موهبته الشعرية على مقاماته النثرية. يقول في هذه المقامة:

"يا نَفْسُ حَتَّامَ إِلى الحَياةِ رُكُونُكِ، وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سُكُونُكِ؟ أَما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلاَفِكِ، وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أُلاَّفِكِ، وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ، وَنُقِلَ إِلَى دَارِ البَلَى مِنْ أَقْرانِكِ؟؟"

ثم يقطع هذا النثر الجميل عند قوله: " *وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أُلاَّفِكِ، وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ، وَنُقِلَ إِلَى دَارِ البَلَى مِنْ أَقْرانِكِ؟؟"*

وينتقل إلى الشعر فنراه يكمل هذا المعنى فيبدأ من حيث انتهى نثره ، يقول:

فهم في بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهورها مَحاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ المَنَايَا المَقَادِرُ
وَخَلُّوْا عَنِ الدُّنْيا وِما جَمَعُوا لهَا وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ التُّرابِ الحَفَائِرُ

ثم نراه يتبع هذا النهج في مقامته من أولها إلى آخرها، انظر إليه يقول:

"انْظُرْ إِلى الأُمَمِ الخَالِيةِ، وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيَّامُ، وَأَفْنَاهُمُ الحِمَامُ؟ فَانْمَحَتْ آثارُهُمْ، وَبَقِيَتْ أَخْبارُهمْ."

" ثم ينتقل الهمذاني من النثر إلى الشعر فيقول:

فأضحَوا رميمًا في التراب وأقفرتْ مجالسُ منهم عُطِّلتْ ومقاصرُ
وخلَّوا عن الدنيا وما جَمَعوا بها وما فاز منهم غيرُ من هو صابرُ

ولو تأملنا النص السابق لوجدنا الهمذاني قد انتقل من النثر عند قوله: " وبقيت أخبارهم" ، وبدأ شعره بقوله: "فأضحوا رميمًا"، بمعنى أن الفكرة لم تنقطع والهدف واحد، وقد عبر بالنثر وأكمل بالشعر حتى أن القارئ لا يشعر بأدنى انقطاع أو بنقلة مفاجئة وهذا يدل على تمكن الهمذاني من فنه، وأنه يعي تماما قيمة الشعر في التأثير على النفوس، لذا وجدناه يزاوج بين الشعر والنثر في مقاماته.

وأما الحريري:

فقد فاق الهمذاني في كثرة الاستشهاد بالشعر، ولا تخلو مقامة من مقاماته الوعظية من الاستشهاد بالشعر، لكنه لم يستطع أن يصل إلى ما وصل إليه الهمذاني من دقة في توظيف هذا الشعر ،وآدائه دورا بارزا في إكمال الفكرة، وتوصيل المعنى.

يقول في مقامته الثالثة والثلاثين (التفليسية):

"يا أولي الأبْصارِ الرّامِقَةِ. والبَصائرِ الرّائقَةِ. أمَا يُغْني عن الخبَرِ العِيانُ. ويُنْبئُ عن النّارِ الدخانُ؟ شَيبٌ لائحٌ. ووهْنٌ فادحٌ. وداءٌ واضحٌ. والباطِنُ فاضِحٌ. ولقدْ كُنتُ واللهِ ممّنْ ملَكَ ومالَ. ووَلِيَ وآلَ. ورفَدَ وأنالَ. ووصَلَ وصالَ. فلمْ تزَلِ الجَوائحُ تسْحَتُ. والنّوائبُ تنْحَتُ. حتى الوَكْرُ قَفْرٌ. والكفُّ صَفْرٌ. والشّعارُ ضُرٌّ. والعيشُ مُرٌّ. والصّبْيَةُ يَتضاغَوْنَ من الطّوى. ويتمنّونَ مُصاصَةَ النّوى. ولمْ أُقِمْ هذا المَقامَ الشّائنَ. وأكشِفْ لكُمُ الدّقائنَ. إلا بعْدَما شَقيتُ ولُقيتُ. وشِبْتُ ممّا لَقيتُ. فلَيتَني لمْ أكُنْ بَقيتُ. ثمّ تأوّهَ تأوّهَ الأسيفِ. وأنشدَ بصوتٍ ضَعيفٍ:

أشْكو الى الرّحْمنِ سُبْحانَهُ تقلُّبَ الدّهْرِ وعُدْوانَهُ
وحادِثاتٍ قرعَتْ مَرْوَتي وقوّضَتْ مَجدي وبُنْيانَهُ
واهْتصرَتْ عودي ويا ويلَ منْ تهتَصِرُ الأحداثُ أغصانَهُ
وأمحَلَتْ ربْعيَ حتى جلَتْ منْ ربْعيَ المُمْحِلِ جِرْذانَهُ
وغادرَتْني حائِراً بائِراً أُكابِدُ الفَقْرَ وأشْجانَهُ
منْ بعْدِ ما كنتُ أخا ثروَةٍ يسحَبُ في النّعْمَةِ أرْدانَهُ
يختَبِطُ العافونَ أوْراقَهُ ويحْمَدُ السّارونَ نيرانَهُ
فأصبحَ اليومَ كأنْ لمْ يكُنْ أعانَهُ الدّهرُ الذي عانَهُ
وازْوَرّ مَنْ كانَ لهُ زائِراً وعافَ عافي العُرْفِ عِرْفانَهُ
فهلْ فتًى يحْزُنُهُ ما يَرى منْ ضُرّ شيخٍ دهْرُهُ خانَهُ
فيَفْرِجَ الهَمَّ الذي همَّهُ ويُصلِحَ الشّانَ الذي شانَهُ" (١)

فالحريري – بقصيدته هذه التي استشهد بها – نراه يلخص وعظه المنثور المسجوع ، في صورة قصيدة شعرية، ذكر فيها من المعاني ما أورده في نصه

---

١ – المقامة الثالثة والثلاثون (التفليسية) ص ٢٥٥

النثري ،فلم يضف بشعره جديدا على ما جاء به في نثره، فكأن هذه القصيدة جـــاءت لتأكد – فقط – ما قدمه الحريري من وعظ وإرشاد.

كما أرى أن الحريري لم يستطع أن يوظف الشعر في مقاماته توظيفا فنيـــا– كما فعل الهمذاني – حيث يمكن لنا أن نجرد مقاماته الوعظية من الشعر من دون أن ينهدم بنيانها الفني ، على عكس المقامة الوعظية للهمذاني التي ضفر فيهـــا الشـــعر بالنثر، والنثر بالشعر ، فلا يمكن لأحدهما أن ينفك عن الآخر.

٤ – هيمنة المحسنات البديعية:

إن عملية الإبداع الأدبي (شعرا ونثرا) قوامها الموهبة الحقيقية التي يتمتع بها الأديب، فمن حرم هذه الموهبة، وأرغم نفسه على أن يبدع فلن يصل إلى شيء أصيل ذي قيمة، وإنما سيكون عمله مسخا مشوها لا روح فيه ولا حياة.

"وليس من الموهبة أن ترسل الكلام على سجيتك من غير تنقيح،إنما الطبيعة تكون متيحة النظر الطويل، والجهد المتواصل، وشرطها أن يختفي فيها الفن، فمن الفن ألا يظهر الفن."([١])

والتأنق في الأسلوب أصل في طباع الناس، وسر في كيان اللغة، وركن من أساس البلاغة، والجمال اللفظي المطبوع منية كل لسان ينطق، وبغية كل أذن تعي،والطابع العام على أسلوب المقامات الوعظية عند الأديبين هو أسلوب الصنعة اللفظية، والاهتمام به إلى درجة قصوى، جعلته المهيمن على فن المقامات.([٢])

ولو تأملنا فنون البديع اللفظية التي اعتمد عليها كل من الهمذاني والحريري في المقامات الوعظية لوجدناها كثيرة ومتنوعة، أهمها:

أ- السجع:

---

[١] – باقات من رياض الأدب، د/ محمد احمد سلامة،ص١٧٦، الطبعة الأولى١٩٩٦م.

[٢] – المرجع السابق ص ١٧٧ بتصرف.

وهو : تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي" الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر" ([1])

ولعل ما قاله السكاكي يساعدنا في فهم طبيعة العرب الموسيقية من الاهتمام الشديد بالسجع ؛ لكونه وسيلة من الوسائل التي تعين المتكلم على السيطرة على نفوس سامعيه واستمالة قلوبهم لما يلقيه على أسماعهم من خلال ما يحدثه هذا السجع من تأثير موسيقي تهش له النفوس ، وترتاح إليه الآذان.

- – والمتأمل في مقامات الهمذاني يرى أنه اعتمد على السجع في صياغته للمقامات بالدرجة الأولى؛ ولعل االسر في ذلك يرجع إلى ما كان سائدا في ذلك العصر من الاعتماد في الكتابة على المحسنات البديعية، وبخاصة السجع، فكان أمرا طبعيا أن يسلك الهمذاني– حتي ينال استحسان معاصريه – المنهج نفسه الذي سلكه أدباء عصره من أمثال: ابن العميد، وابن دريد، وغيرهما ،.

غير أن الهمذاني قد أظهر براعة فائقة في استخدامه للسجع، وكانت لديه قدرة غريبة على الإتيان بما يخلب به ألباب السامعين.

يقول عنه د/ شوقي ضيف :

" وكانت تسعفه في ذلك حافظة نادرة، وبديهة حاضرة، وذكاء حاد، وإحساس دقيق باللغة ومترادفاتها وأبنيتها واستعمالاتها المختلفة فما هي إلا أن يتوجه إلى الكلام، حتى تنهال عليه الألفاظ من كل جهة،كأنها السيول تفد من كل صوب، وكان يعرف كيف يفيد من هذه السيول، فهو يضع الكلمات في دقة وبراعة منقطعة النظير."([2])

---

[1] – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،عبدالمتعال الصعيدي،ج٤ص٨١ ،مكتبة الآداب ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ

[2] - المقامة، د. شوقي ضيف، ص٤

يقول في مقامته (الوعظية):

" أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدَى، وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً، وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَأَعِدُّوا لهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَإِنَّ بَعْدَ المَعَاشِ مَعاداً، فَأَعِدُّوا لهُ زَاداً، أَلا لاَ عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ المَحَجَّةُ، وَأَخِذَتْ عَلَيْكُمُ الحُجَّةُ، مِنَ السَّماءِ بِالخَبَرِ، وَمِنَ الأَرْضِ بَالعِبَرِ، أَلا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الخَلْقَ عَلِيماً، يُحْيِ العَظَامَ رَمِيماً"

ولو تأملنا سجع الهمذاني – في النموذج السابق – لوجدناه جاء طبعيا غير متكلف؛ فهو سجع لطيف وخفيف على الآذان؛لأنه اعتمد على الجمل القصيرة فالسجع هنا يخدم المعنى ويعمقه ويجعله محسوسًا في الوجدان.وهذا هو الغالب على سجع الهمذاني في مقاماته.

والواضح أن الهمذاني "يتخذ من السجع أسلوبًا ومنهجًا لا يحيد عنه في مقاماته، فالسمة الغالبة إذًا على أسلوب" الهمذاني "هي السجع، وهو أسلوب لا يخلو من طرافة وجمال، استخدمه القرآن الكريم في مواضع عدة، ولكن بطريقة معتدلة، وبأسلوب يخدم المعنى ويبرزه، وباعتدال شديد، لا كما يفعل الهمذاني من حرصه الشديد على اعتماده السجع في أسلوبه اعتمادا كليا قد يصل به إلى درجة التكلف – أحيانا – من مثل قوله في مطلع المقامة (الأهوازية):

" حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قال: كُنْتُ بِالأَهْوازِ، في رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّل، لَيْسَ فِينَا إِلاَّ أَمْرَدُ بِكْرُ الآمال، أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الإِقْبال، مَرْجُوُّ الأَيَّامِ وَاللَّيال، فَأَفَضْنَا فِي العِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا، وَالأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا، وَالسُّرورِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ، والشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعاطاهُ، وَالانْسِ كَيْفَ نَتَهَاداهُ، وَفَائتِ الحَظِّ كَيْفَ نَتَلاَقَاهُ، وَالشَّرَابِ مِنْ أَيْنَ نُحَصِّلُهُ، وَالمَجْلِسِ كَيْفَ نُزَيِّنُهُ"

فالهمذاني في هذا النموذج يتصنع السجع في قوله" ، *لَيْسَ فِينَا إِلاَّ أَمْرَدُ بِكْرُ الآمال، أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الإِقْبال، مَرْجُوُّ الأَيَّامِ وَاللَّيال"* فهذا سجع يراد لذاته، وتطويل لا طائل فيه؛ وذلك لأنه لم يضف إلى المعنى شيئا جديدا.

- **وأما عن الحريري:**

فنراه مولعا- أكثر من الهمذاني – في استخدامه للسجع ، ومقاماته الوعظية تكاد تنطق بهيمنة السجع عليها.

يقول د/شوقي ضيف عن أسلوب الحريري في مقاماته أنه:

" يقوم على السجع، والتشدد في استخدامه، إذ كان الأسلوب العام للكتابة في عصره ....ووقف الأدباء والنقاد أمامه مشدوهين،إذ وجدوا في أسلوبه حيوية نافذة، ومرد هذه الحيوية إلى هذا الثوب المتوهج من السجع، الذي لا نجد فيه نقصا، فقد فصله وقطعه ووشاه ذوق رفيع، كان يعرف كيف يضع الكلمة بجوار الكلمة، وكيف يشد اللفظة إلى أختها، وكأنه عازف قيثارة "([1])

ولو تأملنا أية مقطوعة من مقاماته الوعظية لرأينا حرص الحريري على أن يبني أسلوبه على السجع ، من مثل قوله :

" أيّها السّادِرُ في غُلَوائِهِ. السّادِلُ ثوْبَ خُيَلائِهِ. الجامِحُ في جَهالاتِهِ. الجانِحُ الى خُزَعْبِلاتِهِ. إلامَ تسْتَمرُّ على غَيّكَ. وَتستَمْرِئُ مرْعَى بغْيكَ؟ وحَتّامَ تَتناهَى في زهوكَ. ولا تَنْتَهي عن لَهوكَ؟ تُبارِزُ بمَعصِيَتِكَ. مالكَ ناصِيَتِكَ! وتجْتَرِئُ بقُبْحِ سيرَتِك. على عالِمِ سَريرَتِكَ! وتَتَوارَى عَن قَريبِكَ. وأنتَ بمَرْأى رَقيبِكَ! وَتستَخْفي مِن مملوكِكَ وما تَخْفى خافِيَةٌ على مَليكِكَ! أتَظُنُّ أنْ ستَنْفَعُكَ حالُكَ. إذا آنَ ارتِحالُكَ؟ أو يُنْقِذُكَ مالُكَ. حينَ توبِقُكَ أعمالُكَ؟ أو يُغْني عنْكَ ندَمُكَ. إذا زلّتْ قدَمُكَ؟ أو يعْطِفُ عليْكَ معشَرُكَ. يومَ يضُمّكَ مَحْشَرُكَ؟([2])

وسجع الحريري – من خلال هذا النص- يساعده في إقناع المتلقي، والتأثير فيه ، بما يتميز به من سمات فنية، تتجلى في قصر الجمل،وتناغم الألفاظ، وتنويع الجرس الموسيقي.

---

[1] – المقامة.د/ شوقي ضيف. ص٦٦

[2] – المقامة الأولى (الصنعانية) ص٢٠

لكنني أراه – أحيانا كثيرة – يجهد نفسه،ويطوع ملكته الأدبية واللغوية من أجل الإتيان بالسجع الذي لا يضيف للمعنى، وإنما لإظهار ملكاته اللغوية، وبراعته الأدبية.– وهو في هذا يفوق الهمذاني– من مثل قوله:

" إبنَ آدمَ ما أغْراكَ بما يُغرُّك. وأضْراكَ بما يضُرُّك! وألْهجكَ بما يُطْغيكَ. وأبهجَكَ بمنْ يُطريكَ! تُعْنى بما يُعَنّيكَ. وتهمِلُ ما يعْنيكَ. وتنزِعُ في قوْسِ تعدّيكَ. وترْتَدي الحِرْصَ الذي يُرْديكَ! لا بالكَفافِ تقْتَنِعُ. ولا منَ الحَرامِ تمْتَنِعُ. ولا للعِظاتِ تستَمِعُ. ولا بالوَعيدِ ترْتَدِعُ! دأبُكَ أنْ تتقلّبَ معَ الأهْواء. وتخبطَ خبْطَ العَشْواء! وهمُّكَ أن تدأبَ في الاحتِراثِ. وتجْمَعَ التُراثَ للوُرّاثِ!" (١)

والملاحظ على الحريري في سجعه– في كثير من الأحيان – أنه يجعل السجع غاية، لا وسيلة، وهذا يؤثر تأثيرا سلبيا في المعنى، وهذا واضح من خلال النموذج السابق،الذي جاء السجع فيه واضح التكلف،نتيجة للإطناب الذي أسرف في استخدامه للتأكيد على مدى جهل ابن آدم، في تركه ما ينفعه ،وحرصه على مايضره.

ب – الجناس:

وهو تماثل الكلمتين أو تقاربهما فى النطق مع اختلافهما فى المعنى وهو أحد المظاهر التى أثرت الموسيقى، ويعد من أهم ألوان الموسيقى الداخلية للعمل الأدبي بشرط أن يكون طبعيا غير متكلف، مكملا للمعنى ، غير مقصود لذاته ٠

وهذا ما نادى به " الإمام عبدالقاهر الجرجاني" عندما أشار إلى الأوجه الحسنة في استخدام فن البديع بقوله:

---

١ – المقامة الحادية والعشرون (الرازية) ص١٥٦

" وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولا، ولا سجعًا حسنًا، حيث يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ،ولا تجد عنه حولا"([1])

وقد عاب النقاد الإكثار منه لدلالته على تكلف الأديب ، ورأوا أن المقبول منه ما تطلبه المعنى وساقه إليه[٢]ولا يكون الجناس مقبولا عند البلاغيين "إلا إذا جاء مطبوعا غير متكلف ولا مصنوع، وكان المعنى يقتضيه ، والمقام يستدعيه، وله أثر جليل فى الأسلوب لا يتحقق بدونه ، فإذا أخرج عن هذا الحد كان مجرد تلاعب بالألفاظ، وأصبح ممجوجا مكروها"[٣].

***- الجناس عند الهمذاني:**

يسرف" **الهمذاني** "في استخدام الجناس، بشكل واضح،ويعتمد عليه – بعد السجع – في بناء أسلوبه كقوله في المقامة الوعظية:

"أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدَى، وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً – وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ، فَأَعُّدوا لهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ – أَلا وَإِنَّ الدُّنْيا دَارُ جَهَازٍ، وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ- كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا، وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا."

---

[1] – أسرار البلاغة،للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح الشيخ محمد عبده، حواشي محمد رشيد رضا، ص ٧ الطبعة السادسة،١٩٦٠م، القاهرة.

٢- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبدالمتعال جـ٤ صـ٦٦ بتصرف مكتبة الآداب، الطبعة السابعة سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٣- دراسات منهجية فى علم البديع، د/ الشحات محمد أبوستيت، ص ١٩٩،الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

كل هذا الحشد من الجناس ورد في عدة أسطر في مقامة واحدة للهمذاني، وهذا يكشف عن مدى كلفه وولوعه بهذا المحسن البديعي الذي أضفي على المقامة نغما عذبا، وإيقاعا آسرا، يشنف الآذان، فترتاح له النفس، ويطرب له الفؤاد.

ونستطيع أن نقول : إن إفراط الهمذاني في استخدامه للجناس لم يكن من باب التكلف المقيت الذي يعيبه النقاد، وإنما تطلبه المعنى ، فالجناس هنا أدى دورا مؤثرا في إبراز عظم النصيحة، وخطورة عدم الانتباه لها، وعدم الاستجابة إليها.

***- الجناس عند الحريري:**

إذا كان السجع هو المحسن البديعي الأول الذي ارتكز عليه الهمذاني في بنائه أسلوبه، ومن بعده يأتي الجناس، فإن الحريري في بنائه أسلوبه قد زاوج بين الجناس والسجع، فلم يطغَ أحدهما على الآخر، وهذا هو الغالب عليه ،لكنه- أحيانا- يعتمد على الجناس في إبراز معانيه، وتشكيل موسيقاه أكثر من اعتماده على السجع ويظهر ذلك جليا في كثير من مقاماته، ،من مثل قوله :

" يا أرْبابَ الثّراء، الرّافِلينَ في الفِراء، مَنْ أوتيَ خيراً فلْيُنْفِقْ، ومن استَطاعَ أن يُرفِقْ فلْيُرْفِقْ، فإنّ الدُنْيا غَدورٌ، والدهرَ عَثورٌ، والمُكنَةَ زَورَةُ طيْفٍ، والفُرصَةُ مُزنَةُ صيفٍ، وإني واللهِ لَطالَما تلقّيتُ الشّتاءَ بكافاتِهِ، وأعدَدْتُ الأُهَبَ لهُ قبل مُوافاتِهِ، وها أنا اليومَ يا سادَتي، ساعِدي وِسادَتي، وحِلْدَتي بُرْدَتي، وحَفْنَتي جَفنَتي، فلْيَعتَبِرِ العاقِلُ بحالي، ولْيُبادِرْ صرْفَ اللّيالي، فإنّ السّعيدَ من التّعظَ بسِواهُ، واستَعدّ لمسْراهُ." (١)

فلو تأملنا هذا النص وجدنا الحريري يزاوج بين السجع في نهايات الجمل والجناس الذي كان عنصرا فاعلا في بناء هذا السجع.

لكننا نلاحظ الحشد الهائل من الجناس الذي اعتمد عليه في قوله:(الثراء- الفراء، ينفق- يرفق، غدور- عثور، طيف- صيف، بكافاته- موافاته، سادتي- وسادتي، جلدتي- بردتي، حفنتي- جفنتي) مما جعل من المقامة لوحة فنية تشع بالموسيقى

---

١ - المقامة الخامسة والعشرون (الكرجية) ص١٩٠/١٩١

والإيقاع الآسر الذى يجذب العقول ، ويسبى الألباب ٠وهذا ما يهدف إليه الحريري في وعظه.

ثانيا – التصوير الفني:

تعد الصورة الفنية من أهم عناصر العمل الأدبى التى تحدث تأثيرا جماليا يحقق الإفادة ، ويعمل على إثارة العواطف، وبدون الصورة الفنية، يفقد النص الأدبى قيمته؛ لأنها وسيلة الأديب فى نقل مشاعره، وتجسيم عواطفه، وتشخيص معانيه٠

وكذلك تتمثل وظيفة الصورة فى كونها الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة ، وتمثيلها تمثيلا حسيا؛ ذلك لما تشتمل عليه من مختلف الإحساسات والعواطف والأفكار الجزئية، فإنه لا يصح بحال الوقوف عند التشابه الحسى بين الأشياء من مرئيات أو مسموعات، أو غيرها دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الأديب فى نقل تجربته، وكلما كانت الصورة أكثر ارتباطا بذلك الشعور كانت أقوى صدقا، وأعلى فنا[١]٠

أدوات التصوير الفني عند الهمذاني والحريري:

اتكأ كل من الأديبين في رسم صورهما على أدوات فنية، من أهمها:

١- التشبيه:

اعتمد الأدباء ــ قديما وحديثا ــ على التشبيه فى تشكيل صورهم ، وذلك لأن التشبيه يعد من أهم العناصر المكونة للصورة الفنية، لذا نجد علاقة المشابهة هى أكثر العلاقات فى الصورة البلاغية عند أدبائنا القدامى٠

١- النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال صـــ٤١٧/٤٢٠ بتصرف. دار نهضة مصر للطبـــع والنشر.

وتكمن مهمة التشبيه فى الكشف عن المعانى وتقريبها وتوضيحها، وربط الأشياء بعضها ببعض فى صور ملموسة ومحسوسة، لذا فطن النقاد لأهمية التشبيه لما له من تأثير كبير فى توضيح المعنى، وإخراج الخفى إلى الجلى ٠

يقول "قدامة بن جعفر" : " وأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد"(١)٠

ويحدد "ابن طباطبا العلوى" أحسن التشبيهات فيقول: " فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص ، بل يكون مشبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله مشبها به صورة ومعنى"(٢)

- **التشبيه عند الهمذاني:**

لم يكن نصيب التشبيه في المقامتين الوعظيتين عند الهمذاني كبيرا، فلقد استخدمه مرة واحدة في المقامة الوعظية، ومثلها في المقامة الأهوازية ، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أن الوعظ يستلزم أسلوبا مباشرا، لذا قلّ فيه التشبيه.

ومن أمثلة التشبيه عند الهمذاني قوله:

" *أَلا وَإِنَّ الدُّنْيا قَنْطَرَةُ جَوَازٍ، مَنْ عَبَرَها سَلِمَ، وَمَنْ عَمَرها نَدِمَ*"(٣)

فالهمذاني يشبه الدنيا بقنطرة توصل بين جسرين، ومدة بقائك في الدنيا هي مدة تجاوزك لهذة القنطرة، فالسعيد من يجتاز هذه القنطرة بسلام، ويعبر إلى الجسر الآخر مطمئنا، والشقي من يظن أن هذه القنطرة هي

١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر صـ١٢٤ تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨م

٢- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوى، صـ٢٥ تحقيق د/ محمد زغلول سلام ــ منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٨٠م ٠

٣ ـ المقامة الوعظية ص٢٠٤

النهاية وهي الأمان، فنراه يركن إليها حتى يأخذه الموت على حين غفلة، وقتها سيندم وقت لا ينفع الندم.

وتشبيه الهمذاني للدنيا بالقنطرة أراه موفقا؛ حيث يفهم منه أن الدنيا ستكون محفوفة بالشهوات والمخاطر، مثلها في ذلك مثل القنطرة ، التي في اجتيازها مخاطر عديدة، إن لم ينتبه إليها من يجتازها سيسقط في المهالك.

ومن أمثلة التشبيه أيضا قوله:

" أَمَا واللهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هذِهِ العِيدَانِ، إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ، وَلَتُنْقَلُنَّ بِهَذِهِ الجِيَادِ، إِلَى تِلْكُمُ الوِهادِ، وَيْحَكُمْ تَطَيَّرُونَ، كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرونَ، وَتَتَكَرَّهونَ، كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ" (١)

فالهمذاني هنا يخاطب مجموعة من الشباب اللاهي، بعد أن مرت عليهم جنازة، ويعظهم بهذه الكلمات التي ينخلع لها القلب، ويشبههم وقد تشاءموا وتطيروا من رؤية الجنازة كأنهم رجال لهم الخيرة بين الموت والخلود، ويشبه كرههم لمنظر الجنازة، وما تشيعه من حزن كأنهم منزهون عن الموت.

وأرى الهمذاني موفقا فى تشبيهه هذا، حيث استخدم أداة التشبيه (كأن) التى يقول عنها (ابن طباطبا العلوى) : "هى أداة من أدوات التشبيه التى يكون فيها التشبيه صادقا"[٢] ولعل استعمال الشاعر لهذه الأداة دون غيرها من أدوات التشبيه راجع إلى أنها تساعد على دمج الحقيقة بالخيال، بصورة لا تستطيعها أدوات التشبيه الأخرى، إذ فى هذه الأدوات تظل

---

١ - المقامة الأهوازية ص١٢٥

٢- عيار الشعر لابن طباطبا العلوى صـــ٣٦ .

الحدود واضحة بين طرفى التشبيه ، ويحتفظ كل منهما باستقلاله، مع نقطة التقاء أو أكثر مع الطرف الآخر وفى ذلك تأكيد ومبالغة[١].

- **التشبيه عند الحريري:**

أما الحريري: فقد كان اعتماده على التشبيه أكثر من الهمذاني ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة مقاماته الوعظية – عشر مقامات – إذا ما قورنت بمقامتي الهمذاني.

ومن أمثلة التشبيه عند الحريري قوله في مقامته(الحرامية) :

" ما زِلْتُ مُذ رحَلْتُ عنْسي. وارتَحَلْتُ عنْ عِرْسي وغَرْسي. أحِنّ إلى عِيانِ البَصرَةِ. حَنينَ المظْلومِ الى النُصرَةِ. لما أجمَعَ عليْهِ أرْبابُ الدّرايَةِ. وأصْحابُ الرّوايَةِ. منْ خصائِصِ معالِمِها وعُلَمائِها. ومآثِرِ مشاهِدِها وشُهَدائِها" (٢)

فالحريري يشبه حبه وعشقة للبصرة وحنينه لزيارتها، ورؤية معالمها وعلمائها بحنين المظلوم ولهفته وانتظاره إلى اليوم الذي ترفع عنه مظلمته، فتقر عينه، ويهنأ باله، ويهدأ خاطره.

وقد أجاد الحريري في الإتيان بالمشبه به" *حَنينَ المظْلومِ الى النُصرَةِ* " لما توحي به من ترقب دائم، وشعور بالمرارة لعدم تحقق الهدف المنشود.

ومن نماذج التشبيه – أيضا– لدى الحريري، قوله في مقامته (الصنعانية):

" وتبخْتَرْتُمْ خلفَ الجنائزِ. ولا تبخْتَرَكُمْ يومَ قبْضِ الجوائزِ. وأعْرَضْتُمْ عنْ تعْديدِ النّوادِبِ. الى إعْدادِ المآدِبِ. وعنْ تحرُّقِ الثّواكِلِ. الى التّأنُّقِ في المآكِلِ. لا تُبالونَ بمَنْ هوَ بالٍ. ولا تُخْطِرونَ ذِكرَ الموتِ ببالٍ"(٣)

١– ينظر فى ذلك : علوم البلاغة ، للشيخ أحمد المراغى صـــ٢٤٠ المكتبة المحمودية سنة ١٩٧٢م

٢ – المقامة الثامنة والأربعون (الحرامية) ص٣٩٩/٤٠٠

٣ – المقامة الحادية عشرة (الساوية) ص٨٣

فالحريري يقدم وعظه لقوم قدموا الدنيا على الآخرة،ولم يعرفوا للموت حرمة،ويشبه مشيتهم خلف الجنائز وقد غلب عليها التبختر والزهو والخيلاء، – وهي مشية لا تتناسب مع حالة الحزن والانكسار– بمشيتهم المتبخترة المتفاخرة وقت حصولهم على الجوائز.

وتشبيه الحريري هنا ساعد في رسم صورة دقيقة لهؤلاء القوم الذين أشاحوا بوجوههم عن الآخرة، ورموا أنفسهم في أحضان الدنيا.

٢ – الاستعارة:

تعد الاستعارة الركن الثانى بعد التشبيه فى تكوين الصورة، وهى تشبيه حذف أحد ركنيه، مع التصريح بشئ من لوازم المحذوف ٠

ويستخدم الأدباء الاستعارة فى نتاجهم ؛ لأنها أسلوب رقيق جميل يوصل إلى الغرض فى تصوير بارع مع إيجاز فى اللفظ ، يؤثر فى النفس .

ويتحدث "الإمام عبدالقاهر " عن فضلها وقيمتها فيقول:

" ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا ، وتوجب به بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة ... ومن خصائصها التى تذكر بها ــ وهى عنوان مناقبها ــ أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"[١]٠

الاستعارة عند الهمذاني:

لجأ الهمذاني في إنشاء صوره إلى الاستعارة– وإن كان هذا قليلا– غير أنه أجاد فيه إجادة واضحة؛ حيث ألبسها ثوبا من الخيال، وأضفى عليها مسحة من

١– أسرار البلاغة، للإمام عبدالقاهر الجرجانى ، تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفــاجى ١/ ١٣٦ ــ ١٣٧ ط مكتبة القاهرة٠

الجمال. ومن بديع استعاراته التي تطرق فيها للحديث عن الموت قوله في مقامته (الوعظية) :

" كَمْ اخْتَلَسَتْ أَيْدي المَنُونِ، مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ؟ وَكَمْ غَيَّرَتْ بِلاهَا، وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ في ثَرَاها؟؟؟"

فنراه يشبه الموت – وهو شيء معنوي– بوحش قاتل – وهو شيء حسي – ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه (أيدي) على سبيل الاستعارة المكنية التي تقوم على الخيال.ومما زاد من براعة هذه الاستعارة لفظة (اختلست) التي توحي بالسرعة والمفاجأة في الفعل.

ومن جميل استعاراته – أيضا– قوله عن الموت:

" وإِنْ نَسِيتُمُوهُ فَهْوَ ذَاكِرُكُمْ، وإِنْ نِمْتُمْ عَنْهُ فَهُوَ ثَائِرِكُمْ، وإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فهُوَ زَائِرُكُمْ"

فهو يشبه الموت بالإنسان، ويخلع عليه كثيرا من صفات الإنسان ، كالتذكر، والثورة، والزيارة ، حتى ليخيل للسامع أن الموت أصبح إنسانا حقيقيا، وهنا يأتي جمال الاستعارة التي أفادت التشخيص .

الاستعارة عند الحريري:

كان الحريري أكثر استخداما للاستعارة من الهمذاني، ولعل السر في ذلك يرجع – كما أشرت سابقا– إلى كثرة مقاماته الوعظية – عشر مقامات – إذا ما قورنت بمقامتي الهمذاني.

ومن بديع استعارات الحريري قوله في مقامته (الصنعانية):

" أما الحِمام ميعادُكَ. فما إعدادُكَ؟ وبالمَشيبِ إنذارُكَ. فما أعذارُكَ؟ وفي اللّحْدِ مَقيلُكَ. فما قِيلُكَ؟ وإلى اللّه مَصيرُكَ. فمَن نصيرُكَ؟ طالما أيْقَظَكَ الدّهرُ فتَناعَسْتَ. وجذَبَكَ الوعْظُ فتَقاعَسْتَ!"

فالحريري هنا يشبه الدهر- وهو معنوي- بالإنسان، الذي يحاول جاهدا أن يكشف للغافل عن الحقيقة الثابتة التي تنتظره، وهي الموت، ولكن الغافل يتناسى، ويتناعس.وما أروعها هذه اللفظة (تناعست) التي توحي بالادعاء والكذب ،ومما يزيد من جمال هذه الاستعارة أنها أتت في سياق قطعة فنية رائعة،حشد فيها كثيرا من معالم صنعته، وتتمثل في توازن الجمل،والسجع، والجناس، مع ميل إلى تكرار المعاني .

ومن استعاراته البديعة – أيضا- قوله في مقامته (البصرية) التي يتحدث فيها عن مناقب أهل البصرة:

" ولكُمْ إذا قرّتِ المضاجعُ. وهجَعَ الهاجعُ. تَذْكارٌ يوقِظُ النّائمَ. ويؤنِسُ القائمَ. وما ابتسَمَ ثغْرُ فجرٍ. ولا بزَغَ نورُهُ في برْدٍ ولا حرٍّ. إلا ولتأذينِكُمْ بالأسْحارِ. دويٌّ كدويّ الرّيحِ في البِحارِ"

فقوله: (وما ابتسَمَ ثغْرُ فجرٍ) صورة بيانية قائمة على الاستعارة المكنية، حيث شبه شعاع الفجر وانبلاج الصبح بإنسان مبتسم، يشع وجهه نورا وألقا، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (ابتسم- ثغر) على سبيل الاستعارة المكنية القائمة على التخيل،والجميل في هذه الاستعارة أن الحريري كان موفقا في انتقائه ألفاظه التي جاءت متناغمة، فالثغر يناسبه الابتسام، والفجر يناسبه النور.

٣ – الكناية:

تعد الكناية الركن الثالث – بعد التشبيه والاستعارة – فى تكوين الصورة البلاغية، ويذكر الإمام عبدالقاهر أن المراد بالكناية "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"[١].

١- دلائل الإعجاز ، للإمام عبدالقاهر الجرجانى صـ١٠٥ ، تحقيق وتعليق د/محمد عبدالمنعم خفاجى مكتبة القاهرة بمصر ـ مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩م

وقد عرفها الخطيب القزوينى بقوله:

" هى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كقولك فلان طويل النجاد أى طويل القامة"[١].

الكناية عند الهمذاني:

أدت الكناية دورها الفاعل عند الهمذاني في تشكيل الصورة الفنية في مقاماته الوعظية، حيث حشد في مقامته (الأهوازية) كثيرا من الكنايات اللطيفة التي اتكأ عليها لتصوير معانيه وإبرازها؛ بغية النفاذ إلى قلب المتلقي.

من هذه الكنايات قوله:

" وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلى المَسيرِ اسْتَقْبَلَنا رَجُلٌ فِي طِمْرَيْنِ فِي يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ، وَعَلى كَتِفَيْهِ جِنَازَةٌ، فَتَطَيَّرْنَا لَمَّا رَأَيْنَا الجِنَازَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحاً، وَطَوَيْنَا دُونَها كَشْحاً، فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَ تْ الأَرْضُ لهَا تَنْفَطِرُ، وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ، وَقَالَ: لَتَروُنَّهَا صُغْراً وَلَتَرْكَبُنَّهَا كَرْهاً وَقَسْراً، مَا لكُمْ تَطَيَّرونَ مِنْ مَطِّيةٍ رَكِبَهَا أَسْلاَفُكُمْ، وسَيَرْكَبُهَا أَخْلاَفُكُمْ، وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيراً وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ، وَسَيَطؤُهُ أَبْنَاؤُكُمْ، أَمَا واللهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلى هذِهِ العِيدَانِ، إِلى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ، وَلَتُنْقَلُنَّ بِهَذِهِ الجِيَادِ، إِلى تِلْكُمُ الوِهادِ"

ففي هذا النص ثلاث كنايات:

الأولى: " وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحاً، وَطَوَيْنَا دُونَها كَشْحاً" فالكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلْف، وقيل الكشح هو الخصر، وطي الكشح كناية عن الإعراض والصدود للكراهية، وهي كناية غامضة،لكن فسرها وأزال غموضها قوله قبلها(وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحاً).

وينظر: نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى صـــ١٥٥، ١٥٦ ط الخـــانجى ــ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م .

١- الإيضاح فى علوم البلاغة ، للخطيب القزوينى جـــ٥ صـــ١٥٨، الطبعة الثانية، شرح وتعليـــق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ــ مكتبة الكليات الأزهرية .

الثانية: "*فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَ تْ الأَرْضُ لهَا تَنْفَطِرُ، وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ*"

فالعبارة كناية عن شدة الصيحة من قوله كادت الأرض تنفطر، كما فيها سجع وتوازن جمل، وهنا يظهر أسلوب" **الهمذاني** "في حشد عدة محسنات.

الثالثة: " أَمَا واللهِ لُتحْمَلَنَّ على هذه العيدان إلى تلكمُ الديدان" فالعبارة كناية عن الموت الذي لا مفر منه، كما فيها سجع وجناس.

والمتأمل في هذه الكنايات يرى أن الهمذاني لا يجهد نفسه، ولا يكد خاطره في استخراج صوره، وإنما يقول ما يجود به خياله من دون تكلف، وهذا من أهم خصائص الصورة عنده.

الكناية عند الحريري:

أما الحريري فهو- كثيرا- ما يكد خاطره،ويجهد نفسه في بناء صوره الفنية، من مثل قوله في مقامته (الرملية) متحدثا فيها عن شيخ تركهم، بعد أن فرغ من وعظهم:

" *ثمّ إنّهُ أغمضَ عضْبَ لسانِهِ. وانطَلَقَ لِشانِهِ*"

فقوله:أغمض عضب لسانه كناية عن إمساك الشيخ عن الكلام، ومما زاد من جمال هذه الكناية أن الحريري جاء بها في صورة مركبة، حيث تشاركت الكناية مع الاستعارة التصريحية في الفعل(أغمض)- الذي استعير للسكوت عن الكلام – في بناء هذه الصورة المركبة.

ومن كناياته- أيضا- قوله في مطلع المقامة (الصنعانية):

" *حدّثَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قالَ: لمّا اقتَعدْتُ غاربَ الاغتِرابِ. وأْنأْتني المَترَبَةُ عنِ الأْترابِ. طوّحَتْ بي طَوائِحُ الزّمَنِ. الى صنْعاء اليَمَنِ. فدَخَلْتُها خاويَ الوفاضِ. باديَ الإنْفاضِ. لا أمْلِكُ بُلْغَةً. ولا أجِدُ في جرابي مُضْغَةً*"

فقوله: ". فدَخَلْتُها خاويَ الوفاضِ" كناية عن الجوع والفقر الذي أصابه،ولو تأملنا كنايات الحريري سنجد أنه – غالبا- ما يأتي معها بصورة أخرى تعضدالمعنى

وتقويه، وهي هنا متمثلة في قوله:" : لمّا اقتَعدْتُ غارِبَ الاغتِرابِ" فالحريري استعار "الغارب" وهو مقدم ظهر الدابة للتعبير عن الاغتراب، والبعد عن الأصدقاء، وهذا يوحي بمدى المعاناة التي سيعانيها في غربته، ويتلائم ويتناغم مع ما رمى إليه من خلال الكناية، وكأنه بدأ إحساسه بهذه المرارة منذ لحظة امتطائه ظهر الدابة.

وبعد .. فهذه هى أبرز الخصائص الفنية التى اتسم بها كل من الهمذاني والحريري ، وهى بلا شك جوانب اتسمت بكثير من الفنية والحرص على جلاء الصورة وتوضيح المعانى مما يجعل المتلقى يعايش هذه النصوص برغبة فنية وحرص على معايشتها معايشة وجدانية.

الخاتمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق ، وإمام المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين ٠

أما بعد

فبعد هذه السياحة في بستان المقامات الوعظية عند الهمذاني والحريري ــ نخلص إلى أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، ومنها:

أولاً– تأكد من خلال هذه الدراسة المتواضعة أن فن المقامات فن مشرقي النشأة بإجماع الأدباء والنقاد .

ثانياً – انتهى البحث – بعد مناقشة الآراء المختلفة للأدباء والنقاد حول مبتكر فن المقامات – إلى أن هذا الفن – يعود إلى الهمذاني الذي له فضل البراعة والابتكار والتفوق في هذا الفن، حيث قوة الصياغة، وتنويع الآداء، والتوسع في الجوانب الفنية ، حتى وإن كان مسبوقا بمحاولات جادة لهذا الفن من ابن دريد وابن فارس، وما كان يلقى من زهد في مجالس الخلفاء والولاة والقادة في العصر الأموي.

ولما كانت مقاماته منتشرة بين أيدي القراء بسبب ما تميزت به من جوانب فنية مشرقة لم يسبق إليها، عرف بين القراء في عصره وبعد عصره بأنه مبتكر فن المقامة.

ثالثاً– أظهر البحث أن عدد مقامات الهمذاني لا يزال موضع اختلاف بين الأدباء والنقاد – قديما وحديثا – فالحصري يرى أنها أربعمائة مقامة، ومن قبله صرح بذلك الثعالبي في اليتيمة، وهي " أربعون عند الكلاعي و زكي مبارك، وهي خمسون عند موسى سليمان، وإبراهيم علي أبوالخشب، وهي إحدى وخمسون عند مارون عبود، وعمر فروخ، وبروكلمان، ثم هي اثنتان وخمسون عند مصطفى الشكعة.

وقد أيد البحث رأي من قال : إنها اثنتان وخمسون مقامة،ومما يعضد هذا الرأي أنه لم يصلنا عن الهمذاني سوى هذا العدد من المقامات.

رابعاً- أجمع الأدباء والنقاد على عدد مقامات الحريري، فهي خمسون مقامة أنشأها معارضا بها مقامات الهمذاني.

خامساً- اتسع ثوب المقامة كثيرا عند الأديبين،حيث تنوعت موضوعاتها،وتباينت مضامينها، فلم تقتصر على غرض واحد، بل كانت ميدانا فسيحا لكثير من الأغراض كالوصف، والمدح ،والكدية، والفكاهة، والألغاز، والوعظ.

سادساً- قَصُرَ نفسُ الهمذاني في الاتجاه الوعظي،فلم يكتب فيه سوى مقامتين فقط، هما: الوعظية، والاهوازية، بينما طال نفس الحريري ، حيث أنشأ عشر مقامات كاملة فيه.

سابعاً- أظهر البحث أن هناك عدة موضوعات مشتركة، طرقها الأديبان،منها:

١ – الحديث عن الموت والاستعداد له.

٢– التنفير من الدنيا وعدم الركون إليها.

٣– الدعوة إلى مراقبة الله عز وجل، والإخلاص في الطاعة.

٤– الزهد، والدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله.

٥– الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق.

ثامناً- هناك موضوعات انفرد بها الهمذاني، منها:

١ – الاعتبار بقصص السابقين.

٢ – الدعوة إلى العلم ، ومعرفة فضله.

تاسعاً- هناك موضوعات انفرد بها الحريري، منها:

١ – الدعوة إلى عدم التيه والعجب بالإمارة أو الولاية.

٢ – الدعوة إلى التوبة، والندم على ما مضى.

عاشراً– مالت ألفاظهما إلى السهولة والألفة والوضوح – في أغلب الأحيان – وذلك تناسبا مع موضوع الوعظ.

أحد عشر– كان التأثر بالبيان النبوي والبيان القرآني من أهم سمات الأسلوب لديهما، وخاصة عند الحريري.

ثاني عشر– تفوق الهمذاني على الحريري في استخدامه للشعر، وتوظيفه في البناء الفني للمقامة، ويظهر هذا بوضوح في المقامة الوعظية.

ثالث عشر– اعتمد كل منهما اعتمادا كليا على فنون البديع، وبخاصة فن السجع، وفن الجناس.

رابع عشر– سجع الهمذاني– في الكثير الغالب– أقرب إلى الطبع، فهو سجع خفيف على الآذان، يعتمد فيه على الجمل القصيرة، ، يستخدمه كوسيلة في خدمة المعنى .

أما الحريري فقد غالى في استخدامه، وأجهد نفسه، وطوع ملكته الأدبية واللغوية من أجل الإتيان به، فهو في كثير من سجعه لا يضيف للمعنى، وإنما يجعله غاية لا وسيلة.

خامس عشر– أظهر البحث كلف الأديبين بفن الجناس.فإذا كان السجع هو الفن الأول الذي يعتمد عليه الهمذاني في بناء أسلوبه، ومن بعده يأتي فن الجناس، **فإن الحريري** عُنِي بالجناس عناية كبيرة، تجعله مقدما عنده على السجع في مواضع كثيرة.

سادس عشر– جاءت معاني الأديبين واضحة، مباشرة، قريبة المأخذ،مناسبة لغرض الوعظ.

سابع عشر– كانت صورهما معبرة عن عاطفتهما ومعانيهما، واعتمدا في تشكيلها على الصورة الجزئية، القائمة على التشبية والاستعارة والكناية.

ثامن عشر– جاءت صورهما مطبوعة، فلم يرهقا خيالهما في استخراج الصورة، وإنما يقولان ما يجود به خيالهما من دون تكلف .

وبعد:

فأرجو أن أكون – بهذا المجهود المتواضع – قد وفيت الموضوع حقه من البحث والدراسة، وأن يكون عملي هذا مما ينتفع به، والله تعالى من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

تمَّ بحمد الله

قائمة المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانيًا –المصادر:

١- مقامات بديع الزمان الهمذاني، فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٢م.

٢- المقامات – شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي،دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

ثالثًا – المراجع :

١ - الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق. د.علي صبح . الجزء الثاني. ط المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٩٩٨م.

٢- أسرار البلاغة،للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح الشيخ محمد عبده، حواشي محمد رشيد رضا، الطبعة السادسة،١٩٦٠م القاهرة.و تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ط مكتبة القاهرة،

٣- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي،، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

٤-الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية- ١٩٨١م.

٥- الإيضاح فى علوم البلاغة ، للخطيب القزوينى ، الطبعة الثانية، شرح وتعليق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ــ مكتبة الكليات الأزهرية ،

٦- باقات من رياض الأدب، د/ محمد احمد سلامة، ، الطبعة الأولى١٩٩٦م.

٧- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،عبدالمتعال الصعيدي ،مكتبة الآداب ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.

٨- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،أنيس المقدسي، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

٩- دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني وخصائصها الفنية، د. السيد عبد القادر عويضة – الطبعة الاولي،سنة ١٩٩١م ،مطبعة الأمانة.

١٠- دلائل الإعجاز ، للإمام عبدالقاهر الجرجانى ، تحقيق وتعليق د/محمد عبدالمنعم خفاجى مكتبة القاهرة بمصر ــ مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩م.

١١- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري،تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ،الطبعة الثانية المنقحة والمصححة١٤١٨هـ/منشورات دار ومكتبة الهلال.

١٢- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي اسحاق الحصري ،مطبعة السعادة بمصر، سنة١٩٥٣م.

١٣- السنن الكبرى، للإمام أحمد بن شعيب أبوعبدالرحمن النسائي، تحقيق: د.عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن ، ، الطبعة الاولى ،دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

١٤-شرح ديوان كعب بن زهير، لأبي سعيد السكري، ،طبعة مصورة عن دار الكتب.

١٥- علوم البلاغة ، للشيخ أحمد المراغى ، المكتبة المحمودية سنة ١٩٧٢م ٠

١٦-عيار الشعر، ابن طباطبا العلوى، تحقيق د/ محمد زغلول سلام ــ منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٨٠م ٠

١٧- في ميزان النقد الأدبي،د/طه أبو كريشة ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

١٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي،،مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٩- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي ببيروت سنة ١٩٥٧م.

٢٠- المقامة ،د.شوقي ضيف ،الطبعة الخامسة، دار المعارف.

٢١- من الأدب العباسي دراسة ونقدا. د.علي صبح. ط الأولى المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٩٨٤.

٢٢- نشأة المقامة في الأدب العربي، د. حسن عباس،دار المعارف.

٢٣- النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال. دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ٠

٢٤- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٨م ٠

٢٥- وفيات الأعيان ، لابن خلكان، مطبعة عيسى الحلبي بمصر سنة ١٩٣٦م.